أجنحة لا تراها العيون

مجموعة قصصية

ياسمين عبد السلام هرموش

إهـــــــداء

إلى الذين ما زالوا يحلمون رغم قسوة الواقع

إلى العيون التي ترى بالنور الداخلي أكثر مما ترى بالعالم الخارجي

إلى كل روح تبحث عن أجنحتها المخبوءة...

أهديكم هذه الصفحات.

مقـــــــــدمة....

ليست القصة مجرد حكاية تُروى، بل نافذة تفتح على الداخل أكثر مما تفتح على الخارج؛ مرآةٌ نرى فيها أنفسنا ومجتمعاتنا، ونلمس عبرها ما يتخفى خلف التفاصيل الصغيرة من وجعٍ وأمل، من حبٍّ وانكسار، من بحثٍ لا ينتهي عن معنى الحياة.

هذه المجموعة القصصية التي أضعها بين يدي القارئ، وديعةُ رحلةٍ طويلة مع الكتابة؛ رحلة مشتهاة ومرهقة في آن، كان لكل قصة منها ظلّ يلاحقني في اليقظة كما في المنام. كتبتها بوعيٍ متجدد بأن الكلمة ليست ترفًا، بل مسؤولية، وأن الفن ليس زينةً للواقع، بل قدرة على اختراقه، مساءلته، وإعادة صياغته.

في هذه النصوص حاولت أن أقترب من الإنسان في أعمق حالاته: ضعفه حين يواجه المجهول، صمته حين يختنق بالكلمات، قوته حين يتشبّث بالحلم رغم القسوة، وحنينه الدائم إلى ما يفلت منه. شخصياتي ليست مجرد أسماء عابرة، بل هي شظايا من أرواحنا جميعًا، تتوزع بين الغياب والحضور، بين الهشاشة والصمود، بين الواقع وما وراءه.

وإذا كانت بعض القصص تبدأ من مشهدٍ صغير، من نافذة مطلّة على الفراغ أو من وجعٍ عابر، فإنها لا تلبث أن تتسع لتصير مرثيةً للحياة، أو نشيدًا للحب، أو صرخةً ضد الخوف. إنها قصص تُحاول أن تمنح الهامش صوته، وال silence كلمته، وأن تقول إن أبسط التفاصيل قد تحمل أثقل الحقائق.

أقدّم هذه المجموعة وأنا أدرك أن الكتابة ليست محطة أخيرة، بل هي بداية متجددة لرحلة أوسع. كل نصّ هنا هو محاولة لالتقاط ما يتسرّب من بين أصابعنا: لحظة دفء، رعشة فقد، أو بصيص ضوء في عتمة ممتدة.

لعل هذه القصص تجد في قلب القارئ صدى يشبه الصدى الذي تركته في قلبي، ولعلها تذكّرنا جميعًا أن الأدب ليس إلا وسيلةً لمقاومة العدم، ولإبقاء إنسانيتنا يقظة، حيّة، ومشرعة نحو الأمل.

مدينة الشمس المشرقة

في أقصى الأطراف، حيث تلتقي السماء بالمدينة، هناك مكان لا يعرف الليل، مدينة الشمس المشرقة. المباني مصنوعة من الزجاج والرخام، والشوارع تتلألأ تحت أشعة لا تغرب. لكن، رغم الضوء الذي يغمر كل شيء، لم يكن كل قلب في المدينة مضاءً، فبعض النفوس كانت تبحث عن لون خفي، شعور غامض، لم يعرفه السكان منذ زمن بعيد.

كانت ليان فتاة ذات شعر ذهبي وعينين كالمحيط، تحمل قدرة غريبة على رؤية الألوان المخفية في الناس: كل شعور، كل رغبة، كل ألم، كل فرحة، كانت تظهر أمامها كبقع ضوئية تتراقص حول صاحبها. كانت تسير في الأسواق والشوارع، تشاهد الفرح المختبئ وراء الابتسامات المرسومة، والحزن المطمور وراء الحوارات اليومية.

تدرك ليان أن المدينة، رغم كل ضوءها، فقدت شيئًا مهمًا: القدرة على أن تكون صادقة مع نفسها ومع الآخرين. فالناس يتظاهرون بالفرح، يبتسمون بلا إحساس، ويعملون بلا حب، يتحدثون عن أحلام لم تتحقق، ويخفون شوقهم وراء ألوان صفراء متوهجة، تمثل الانشغال والتظاهر.

قررت ليان أن تبدأ رحلة داخل المدينة، لاكتشاف ما يجعل هذه النفوس مضيئة حقًا. زارت الحديقة الأولى، حيث كان الأطفال يلعبون، لكن ضحكاتهم كانت نصف مكتملة، وكأن شيئًا يفتقدهم. جلست بجانب أحدهم، وأشارت بيدها نحو السماء، وسألته: "ماذا ترى؟"

رفع الطفل عينيه نحوها، وقال ببراءة: "أرى الشمس... لكنها تبدو بعيدة، وكأنها لا تصل إلى قلبي."

ابتسمت ليان، وفهمت أن مهمتها لن تكون سهلة: لن تضيء المدينة إلا إذا بدأت من داخل كل قلب.

مرت الأيام، وزارت كل الأحياء: سوق الحكايات، شارع الألوان، مكتبة الأحلام. قابلت الحداد الذي صنع تماثيل بلا روح، والرسامة التي تلوّن الجدران، لكنها لم تبتسم منذ سنوات، والشاعر الذي يكتب أبياتًا بلا حياة.

كانت ليان تستخدم قدراتها بهدوء، تلمس ألوان القلوب، تُخرج اللون الحقيقي، تُعيده إلى صاحبه. أحيانًا كان اللون الأحمر يغمر أحدهم بالحب المفقود، وأحيانًا الأزرق يملأ قلب آخر بالهدوء الذي افتقده، وأحيانًا الأصفر يعيد للطفل المفقود داخله ضحكة ضائعة منذ زمن.

في أحد الأيام، وصلت إلى ساحة المركز الكبير، حيث يجتمع السكان في كل صباح لتبادل الأخبار والابتسامات، لكن رغم الحشد، كان المكان صامتًا، وكأن شيئًا يوقف النبض الحقيقي في القلوب. وقفت ليان في منتصف الساحة، رفعت يديها، وأغلقت عينيها، مستشعرة كل لون مخفي، كل شعور مختبئ، كل حلم ضائع.

بدأت الألوان تتصاعد حولها، تتداخل، تتراقص، كأن المدينة كلها تتنفس من جديد. شعر الناس بالدفء لأول مرة منذ سنوات، وابتساماتهم تحولت من تزييف إلى حقيقة. الأطفال ضحكوا بلا خوف، الشباب وجدوا شغفهم المدفون، والكبار تذكروا كيف كانوا يحلمون قبل أن يكتسحهم الانشغال.

أدركت ليان أن الضوء الحقيقي لا يأتي من الشمس وحدها، بل من داخل كل قلب. أن المدينة المضيئة لا تكفي وحدها، بل يحتاج كل فرد لأن يجد ذاته، أن يواجه مخاوفه، أن يزرع الحب والصدق حوله.

وفي لحظة غروب وهمي، شعرت ليان بالسلام يعم قلبها. لم تعد مجرد فتاة تلمس الألوان، بل أصبحت حارسة الضوء الداخلي للمدينة. الناس لم يعودوا يحتاجون إلى تزييف ابتساماتهم، بل بدأوا يزرعون البهجة من داخلهم، وكل زاوية في المدينة بدأت تتوهج بألوان لم يعرفوها من قبل: أزرق الحلم، أحمر الحب، أخضر الأمل، بنفسجي التأمل.

أصبح للمدينة معنى جديد، لم يعد مجرد شمس مشرقة، بل قلب حي ينبض بالألوان الحقيقية. كل شخص فيها صار يرى نفسه، ويدرك أن السعادة ليست في الضوء الخارج، بل في النور الداخلي، في القدرة على العطاء، على الحب، على الحلم المشترك.

ليان وقفت على أعلى برج في المدينة، وأشعة الشمس تلامس وجهها، وابتسامة رضى تزين شفتيها. أدركت أن مهمتها اكتملت: المدينة المضيئة أصبحت الآن مدينة القلوب المضيئة، وأن كل قلب يحمل شعلة يمكنها أن تغير العالم من حوله.

صمت الحديقة

كانت الحديقة مهجورة منذ سنوات، الأشجار عالية ومرهقة، أوراقها صفراء تتساقط بلا توقيت محدد، وكأنها تسقط على وقع تنهدات الماضي. كل صباح، كانت ليلى ترتدي معطفها البني، وتأخذ كوب قهوتها الساخن، قبل أن تتوجه بخطوات هادئة نحو الحديقة الخلفية للبيت القديم. البيت نفسه كان شاهداً على حياة مضت: جدرانه المتهالكة تروي قصص الضحك والبكاء، والفناء الصغير يحمل بقايا اللعب، وقطع الحصى المبعثرة تحكي عن خطوات أطفال لم يعودوا موجودين.

ليلى، بعينيها الغامقتين وشعرها المبعثر، كانت تكاد تصبح جزءًا من الحديقة نفسها. كل شجرة تعرف مكانها، كل ظل يعرف خطواتها. لم تكن تأتي لتجدد الحديقة، بل لتتجدد هي نفسها، في صمتها المريح والمخيف في الوقت نفسه. هناك، بين الأشجار والأعشاب اليابسة، شعرت بأنها تستطيع التحدث بحرية، أن تهمس بأسرارها للريح دون أن يخدعها أحد.

أيامها في الحديقة كانت مليئة بطقوس غريبة. كانت تبدأ بتمشيط شعرها، وتجلس على مقعد خشبي مكسور، تضع كوب القهوة على الأرض بجانب قدميها، ثم تبدأ في الحديث مع الأشجار. كانت تخاطب كل غصن كأنه صديق، كل حجر كأنه جار قديم، وكل ظل كأنه يحفظ كل أسرارها. أحيانًا، كانت تضحك بلا سبب، وأحيانًا أخرى، تبكي بصمت، تاركة دموعها تنساب على قميصها الباهت اللون، تتخللها رائحة التراب والندى البارد.

ليلى لم تكن وحدها تمامًا. في زاوية مظللة من الحديقة، ظهر له ظل صغير، طفلاً بلا اسم، يلعب بين أوراق الشجر المتساقطة. لم يكن موجودًا حقًا، لكنها شعرت بحضوره، وبنظراته الخجولة التي تراقبها دون أن تقابله. في البداية، خافت. اعتقدت أن خيالها قد خرج عن السيطرة، أو أن الوحدة أفقدتها إدراك الواقع. لكنها لاحظت شيئًا غريبًا: ظل الطفل كان يتكرر كل يوم، بنفس المكان، بنفس الحركة، وكأنه يكرر طقسًا يوميًا خاصًا به.

كان للظل طقوسه أيضًا. يقف عند شجرة البلوط الكبيرة، يلمس أوراقها، ثم يجلس على الأرض، ويبحث بين الحصى عن شيء لا تراه ليلى. أحيانًا، كانت تحاول الاقتراب منه، لكن كل خطوة كانت تجعله يختفي، كأنه يختبئ خلف ستار الواقع. ومع مرور الوقت، صار وجوده يملأ الحديقة، يعطيها إحساسًا بأن الحديقة ليست خالية بالكامل، وأن هناك حياة خفية تتنفس بين الأشجار اليابسة.

ذكريات ليلى الطفولية كانت ترتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه الحديقة. كانت تتذكر صخب الأطفال، صياحهم، لعبهم بالكرة، وركضهم بين الأشجار. كل ضحكة كانت كصدى بعيد داخل عقلها، تتقاطع مع صمت الحديقة الحالي، فتشعر بأن جزءًا من حياتها لم يمت بعد، بل مجرد مختبئ خلف ستار الزمن. كل ورقة صفراء تتساقط كانت بالنسبة لها رسالة من الماضي، تهمس: "لم تنسَ الحياة، ما زالت هناك فرصة للبدء من جديد".

ليلى كانت تكتب يومياتها على دفاتر صغيرة، كل صفحة تحمل كلمة، جملة، أو مشهدًا. كانت تصف الظلال، حركة الريح، صوت العصافير النادرة، وحتى صوت خطواتها على الحصى. كل تدوينة كانت محاولة لفهم الطفل الظل، أو محاولة لتفسير حضور الغياب في حياتها. ومع مرور الأسابيع، بدأت تلاحظ أن الظل لا يظهر إلا عندما تكون صامتة تمامًا، وكأن حضوره مرهون بصمتها الداخلي.

الحديقة، بهذا المعنى، لم تكن مجرد مساحة خضراء مهجورة، بل مرآة لحياتها، مرآة لذكرياتها، وفضاء لتجاربها الداخلية. كل شجرة كانت تمثل فصلًا من حياتها، كل حجر كان يحمل عبء ذكريات ضائعة، وكل ظل كان يذكرها بالغياب الذي لم تتمكن من تجاوزه.

وذات صباح، بينما كانت تجلس على المقعد الخشبي، لاحظت شيئًا جديدًا. الطفل الظل لم يختفِ، بل اقترب بخطوات حذرة. كانت عيناها تراقبه بدهشة وقلق في الوقت نفسه. بدا

وكأنه يريد إيصال رسالة، لكنها لم تعرف كيف تسمعها. اقترب أكثر، ومد يده، لكنها شعرت بأن يده مجرد شعاع ضوء، ليس ملموسًا، لكنه حقيقي بما يكفي ليشعر قلبها بالارتجاف.

في تلك اللحظة، فهمت ليلى شيئًا بالغ العمق: الطفل الظل ليس مجرد خيال، بل تجسيد لصمتها، لطموحاتها، لمخاوفها، وكل ما لم تتمكن من قوله أو فعله. كان يذكّرها بأن الحديقة ليست خالية، وأن الفراغ يمكن أن يتحول إلى مساحة للإبداع والشفاء إذا استطاعت مواجهة صمتها والتصالح مع ماضيها.

مع مرور الأيام، بدأت تفتح قلبها تدريجيًا لهذا الحضور الغامض. تحدثت للطفل الظل، حتى لو لم يرد. كتبت له رسائل على أوراق صغيرة، وضعتها بين جذور الأشجار، وكأنها رسائل تطير مع الريح. وكل يوم، كانت تعود لتقرأ ما تبقى منها، فتشعر بأن الحديقة تعود إلى الحياة، وأن صمتها لم يعد قسوة، بل صديق وحامي للروح.

في المساء، عندما تغرب الشمس، وتنعكس أشعتها الأخيرة على الأوراق الصفراء، كانت ليلى تشعر بالسلام لأول مرة منذ سنوات. الحديقة، صمتها، الطفل الظل، كلهم أصبحوا جزءًا منها، جزءًا من طقوسها، جزءًا من قصتها مع الغياب والحياة.

كانت تعرف أن الحديقة لن تعود كما كانت، ولا الطفولة، ولا الضحكات المفقودة. لكنها تعلمت أن الحضور الحقيقي لا يعتمد على الواقع المادي فقط، بل على قدرة الإنسان على تحويل الصمت والغياب إلى معنى، وعلى أن يتحاور مع الظلال والأشجار والذكريات ليخلق من الألم حياة جديدة.

رسالة من البحر

كانت الأمواج تتكسر على الشاطئ برفق، تحمل معها رائحة الملح والحرية، وتهمس بصوت بعيد، كما لو كانت تخاطب قلب سارة مباشرة. كل مساء، كانت ترتدي معطفها القديم، تأخذ دفترها الأزرق، وكوب شاي دافئ، وتذهب إلى الشاطئ خلف بيتها، حيث الرمال تتناثر بين قدميها وتغطي آثار خطواتها السابقة.

سارة لم تكن تأتي للهواء أو المشهد فحسب. كانت تأتي لتنتظر. تنتظر شيئًا لم يصل قط، شيئًا يعرفها أكثر من أي أحد آخر، شيئًا ضاع في مكان ما بين الأمواج والزمان. كان اسمه كريم، صديق الطفولة، الذي رحل قبل سنوات طويلة، تاركًا وراءه فراغًا لم تستطع أن تملأه أي صورة أو رسالة.

كانت تكتب له باستمرار، آلاف الكلمات، آلاف الرسائل التي لم ترسلها يومًا. كل كلمة كانت تحمل صوت قلبها، كل جملة كانت محاولة للإفصاح عن ألمها وشوقها، وكل رسالة كانت زجاجة صغيرة تطلقها في البحر. كانت ترى الزجاجة وهي تبتلع الأمواج، تغيب عن الأنظار، وربما تصل يومًا إلى مكانه، وربما لا.

الأمواج كانت صديقها الوحيد، صامدة، صادقة، لا تكذب ولا تخون. كانت تهمس لها: "اصبري، فكل شيء يحدث في وقته"، وكأنها تعرف سر انتظارها الطويل. في الصباح، كانت تعمل في مكتبة صغيرة في الحي، بين الكتب المغبرة والصفحات القديمة. كل زائر كان يذكرها بشيء من الماضي، وكل كتاب كان يحمل بين صفحاته صدى ذكريات الطفولة، أو صور ابتسامة كريم التي لم تنسَها أبدًا.

يومًا بعد يوم، أصبح الشاطئ متنفسها الوحيد. كانت تتجول على الرمال، تراقب الأطفال يلعبون، تقرأ أسماءهم على زجاجات صغيرة تحمل رسائلهم الخاصة، أو أحيانًا تركها الأطفال خلف الصخور. كل هذا كان يذكّرها بأن الحياة مستمرة، وأن الغياب لا يعني النهاية.

وذات مساء، بينما كانت الشمس تغرب خلف الأفق، رأتها عينها: طفل صغير، حافي القدمين، يركض على الشاطئ يحمل زجاجة مبللة. توقف عند قدميها، نظر إليها بعيون واسعة، وناولها الزجاجة قبل أن يختفي بين الأمواج كما لو لم يكن موجودًا. ارتجفت يداها، فتحت الزجاجة بحذر، وأخرجت الورقة المبللة، التي كتبت عليها جملة واحدة:

"أنا هنا... بين الأمواج."

تجمد قلبها، جلست على الرمل، والورقة في يدها، تردد الكلمات مرارًا: "أنا هنا... بين الأمواج." كانت غامضة، لم تحدد مكانه، لم تشرح كيف هو حي، ولم تقل ما حدث له طوال السنوات الماضية. كانت الكلمات بسيطة، لكنها حملت معها وزن الغياب كله، وبدأت رحلة البحث عن الحقيقة، عن الشخص الذي عاش بين الأمواج وغاب عن حياتها.

الليل حل، والريح كانت تهب بقوة، تحمل رائحة البحر الممزوجة بالرمل المبتل. جلست سارة على الحجر الكبير، تتأمل الأفق، وتتذكر الأيام التي قضتها مع كريم: الضحكات في الشاطئ، ألعاب الطفولة، المحادثات الطويلة عن الأحلام، العهود الصغيرة التي قطعوها على بعضهم البعض. كل شيء بدا أقرب إليها الآن، كل ذكرى كأنها تعود لتتجسد في الموجة التالية.

لم يكن الأمر سهلاً. كل يوم كانت تعود إلى البيت، تحضر دفاترها، وتكتب ملاحظات عن البحر، عن الزجاجات، عن كل حركة طفيفة قد تشير إلى وجوده. كانت تصف رائحة البحر، لون السماء عند الغروب، أصوات الطيور المهاجرة، كل شيء يمكن أن يحمل سر عودته أو رسالته القادمة.

وذات صباح، اكتشفت شيئًا جديدًا. في إحدى الزجاجات، كان هناك شيء مختلف: رسم صغير لكريم، ابتسامته الشهيرة، ورسالة قصيرة تقول: "لم أعد كما كنت... ولكني ما زلت

هنا." ارتجفت سارة، شعرت بأن قلبها يفرح ويحزن في الوقت نفسه. لم يكن مجرد حنين، بل صراع داخلي بين الأمل واليأس، بين الحب والغياب، بين الماضي والحاضر.
بدأت رحلة جديدة، رحلة البحث عن كريم، ليس فقط جسديًا، بل روحيًا أيضًا. البحر أصبح كتابًا مفتوحًا، والزجاجات صفحاتها، والرسائل كلماتها الأخيرة قبل أن تلتقي به أو تفقده مرة أخرى. كل رسالة تصلها كانت تعلمها درسًا جديدًا: الغياب يمكن أن يكون تعليمًا، الانتظار يمكن أن يكون حياة، والحب يمكن أن يستمر رغم كل المسافات والفقدان.

مع مرور الأيام، بدأ البحر يغيرها. أصبحت أكثر هدوءًا، أكثر صبرًا، أكثر قدرة على مواجهة الفراغ والغياب. لم تعد الزجاجات مجرد وسيلة لإرسال الرسائل، بل صارت رمزًا للأمل، للرحلة، للوفاء الذي لا يموت. وعرفت أن الحب الحقيقي لا يُقاس باللقاء، بل بالقدرة على الانتظار، على الإيمان، وعلى الحفاظ على الأمل حيًا رغم كل شيء.

في مساء عاصف، جلست على الشاطئ، تداعب يديها الرمل الرطب، تسمع هدير الأمواج، وتشعر بأن كريم قريب، ليس بالضرورة جسديًا، لكنه حاضر في قلبها وعقلها وروحها. ابتسمت، وأخرجت رسالة جديدة من دفترها، كتبت فيها: "أنا هنا... مستعدة للانتظار إلى أن تعود."

كانت تعرف أن الرحلة طويلة، وأن الغياب لم ينته، لكنه لم يعد ثقيلًا كما كان. البحر، الزجاجات، الرسائل، كل شيء أصبح مرشدًا لها، صديقًا صامتًا، ومعلمًا للحياة. وكل مساء، عندما تغرب الشمس، كانت سارة تقف على الشاطئ، تنظر إلى الأفق، وتعلم أن الحب يمكن أن يظل حيًا بين الأمواج، حتى لو غاب صاحبه سنوات طويلة.

الساعة المكسورة

كانت الساعة المكسورة معلقة على الحائط منذ سنوات، تتحرك عقاربها بلا انتظام، كل دقيقة تبدو أطول من الأخرى، وكل ساعة تمر بلا معنى. كانت هدى تنظر إليها يوميًا، كأنها

مرآة لحياتها، كأنها تعكس انتظارها الذي لا ينتهي وصراعها المستمر مع الزمن الذي يبدو متوقفًا في بعض الأحيان.

هدى، في الثلاثينيات من عمرها، امرأة هادئة الطباع، تحمل قلبًا مليئًا بالذكريات وأحيانًا بالأحزان الخفية. فقدت والدها وهي صغيرة، وتركت والدتها تواجه الحياة بمفردها، تعمل بلا كلل لتؤمن مستلزمات الحياة لعائلتها الصغيرة. البيت القديم، رغم عراقه وجدرانه المشققة، كان شاهدًا على ذكريات الطفولة، على ضحكاتها مع إخوتها، وعلى اللحظات التي تشاركها مع والدتها قبل أن يتركها الزمن وحدها.

الساعة المكسورة لم تكن مجرد أداة لمعرفة الوقت، بل كانت رمزًا لكل ما تأخر أو اختفى أو لم يتحقق في حياتها. كل صباح، كانت تتفقد العقارب، تحاول أن تفهم سبب توقفها، وكأنها تبحث عن معنى للوقت الذي ضاع بين الانتظار والخذلان. كانت تتحسس العقارب بيدها، كأنها تلمس قلبًا مكسورًا، وتهمس لها: "لا تهتمي، كل شيء يأتي في وقته."

في عملها اليومي في مكتب قديم وسط المدينة، كانت هدى تدير الملفات، تستقبل المراجعين، وتحاول ترتيب الوقت بين مسؤولياتها. ومع ذلك، كان كل شيء حولها يبدو وكأنه يتسارع بلا هوادة، بينما حياتها تتوقف عند لحظة معينة، عند ذكريات أو انتظار شخص ما لم يعد.

كانت تتذكر دائمًا صديقتها القديمة ليلى، التي كانت تعرفها منذ الطفولة، وكيف كانت تضحك معًا تحت شجرة الجيران، وتلعبان في الأزقة الضيقة للحي القديم. ليلى رحلت إلى الخارج للعمل، وتركت هدى تواجه حياتها بصمتها المعتاد. ولكن حتى بعد رحيل ليلى، بقيت هدى صامدة، تتحدث مع نفسها أحيانًا عن المستقبل، عن الأيام التي كانت تتمنى أن تمر بسرعة لتجلب معها أخبارًا جديدة أو لقاءات لم تتحقق.

وذات مساء، بينما كانت هدى تجلس في غرفة المعيشة، لاحظت حركة غريبة في الساعة. عقاربها تحركت فجأة، خطوة صغيرة لكنها كافية لتثير قلبها. جلست على الأريكة، تتنفس ببطء، وتشعر بأن شيئًا ما على وشك التغير. لم تكن تعلم إن كان هذا مجرد وهم، أم بداية لمرحلة جديدة في حياتها.

مرت الأيام، وكانت الساعة تتحرك أحيانًا بلا انتظام، لكنها دائمًا تذكّرها بأن الوقت لا ينتظر أحدًا، وأن كل لحظة لها قيمتها الخاصة. بدأت هدى تكتب يومياتها، تضع فيها أفكارها، مخاوفها، وأحلامها الصغيرة التي لم تستطع تحقيقها بعد. كانت كل كلمة تكتبها وكأنها تعيد ترتيب الزمن في حياتها، وكأنها تمنح عقارب الساعة فرصة ثانية لتتحرك بلا توقف.

وفي أحد الأيام، وصلتها رسالة غير متوقعة. كانت رسالة مكتوبة بخط قديم، يخص شخصًا كان جزءًا من حياتها منذ سنوات طويلة، شخص رحل فجأة دون سبب واضح، تاركًا وراءه فراغًا كبيرًا. الرسالة قالت:

"الوقت لا يرحم، لكن لا يزال هناك مكان لك في حياتي. تعالي، وسنجد اللحظة المفقودة معًا."

ارتجفت هدى، شعرت بمزيج من الفرح والخوف، ترددت، تذكرت كل ما مضى، كل الانتظار، كل الألم، وكل اللحظات التي شعرت فيها بأنها وحيدة. ومع ذلك، شعرت بأن هذه اللحظة هي فرصة جديدة، لحظة لتصحيح ما فات، لتجاوز الغياب، ولإعادة الزمن إلى مساره الصحيح.

بدأت هدى ترتب أمورها، تستعد للقاء، لكنها كانت تراقب الساعة دائمًا، كأنها تود أن تتأكد من أن الوقت لن يخدعها مرة أخرى. وفي اليوم المنتظر، خرجت من البيت، وخطواتها

مترددة على الرصيف القديم، لكنها متجهة نحو الأمل. كل خطوة كانت تثبت لها أن الحياة يمكن أن تعود إلى نصابها، وأن الانتظار لم يكن عبثًا، وأن كل لحظة ماضية كانت جزءًا من الرحلة.

الساعة المكسورة بقيت معلقة على الحائط، لكن عقاربها الآن تتحرك بشكل أكثر انتظامًا، وكأنها تشارك هدى في رحلة البحث عن الزمن المفقود. كل دقة كانت تذكرها بأن الحياة ليست عن السرعة فقط، بل عن القدرة على الانتظار، على الصبر، وعلى تقدير اللحظة مهما كانت صغيرة.

وبينما التقت بالشخص الذي كتب الرسالة، شعرت هدى بأن كل ما مضى من ألم وغياب، كل الصمت والانتظار، قد أصبح ذا معنى. شعرت بأن الحياة تعود إليها تدريجيًا، وأن عقارب الساعة المكسورة لن تعكس مجرد الفقدان بعد الآن، بل ستشهد على لحظة التلاقي، على الأمل، وعلى القدرة على إعادة بناء الزمن المفقود.

صوت الريح

كانت الريح تهب بقوة في ذلك الصباح، تعصف بالأشجار والأوراق، وتدور حول البيت القديم كما لو كانت تريد أن تروي قصة لم تُسمع بعد. جلست سلمى على شرفة غرفتها، تشعر بأن الهواء يلمس وجهها برفق، لكنه يحمل معه همسات الماضي وأصواتًا لم تعرف مصدرها.

سلمى، في أواخر العشرينيات، فتاة حساسة، محبة للطبيعة، وهادئة الطباع. نشأت في بيت قريب من أطراف المدينة، حيث الأشجار القديمة والحقول المهجورة، وكان والداها يزرعان الأمل والعمل في حياتها منذ الصغر. كانت الريح دائمًا صديقة لها، تحمل رسائل من بعيد، وتنقل معها روائح الأزهار أو حكايات الغياب.

منذ صغرها، كانت تسمع من والدتها أن الريح تعرف كل الأسرار، وأنها تحمل الأخبار لمن يستمع إليها بعناية. كانت سلمى تستمع، تحاول فهم همسات الريح، تكتب في دفترها كل ما تشعر به، كل نبضة تسري في قلبها مع كل هبة هواء.

وذات يوم، بينما كانت تتجول في الحقول خلف البيت، لاحظت فتاة صغيرة تبكي عند جذع شجرة قديمة. اقتربت سلمى منها، وجدت الفتاة خائفة من الريح، من الظلال، ومن الأصوات التي تأتي مع كل هبة هواء. جلست بجانبها، تمسح دموعها، وتحدثها عن الريح كصديقة لا عدو، عن قدرتها على حمل الأماني، وعن أنها تحمل دائمًا شيئًا من الماضي والحاضر معًا.

في البيت، كانت الريح تدخل من النوافذ المفتوحة، تحرك الستائر، تثير الغبار على الأرفف، وتعيد لسلمى ذكريات قديمة: أيام الطفولة مع إخوتها، ضحكاتهم، الألعاب التي كانوا يلعبونها في الحقول، وحتى اللحظات الصعبة التي تعلمت فيها الصبر والمرونة.

كان صوت الريح بالنسبة لها أكثر من مجرد صوت. كان تذكيرًا دائمًا بالحرية، بالقدرة على التحرك مهما كانت القيود حولها. كانت تقف أمام النافذة لساعات، تسمع الريح تتحدث إليها، تشعر بها وكأنها تتحدث عن أملها المستقبلي وعن القدرة على تجاوز كل الخوف والقيود التي فرضها العالم عليها.

وذات مساء، وصلت رسالة غامضة، مكتوبة بخط صغير ومائل، تقول:

"اتبع الريح، ستجد نفسك حيث لم تتوقع."

ارتجفت سلمى، شعرت بفضول شديد، لكنها كانت مترددة. الريح كانت قوية جدًا ذلك اليوم، وكأنها تريد أن تقودها نحو مكان مجهول، مكان مليء بالمغامرة والخوف والأمل معًا. قررت أن تتبع الشعور، أن تثق بالرياح كما وثقت بها منذ صغرها.

بدأت رحلتها عبر المدينة، ومن ثم خارجها، بين الحقول المهجورة والأشجار القديمة، حيث كل شيء كان يبدو وكأنه جزء من حلم. الريح قادتها إلى حافة وادٍ، حيث وجدت جسرًا قديمًا، مهجورًا، لكنه جميل بطريقة غامضة. جلست هناك، تسمع صوت الريح بين الأشجار، وتكتب في دفترها: كل شيء حولها ينبض بالحياة، كل هبة ريح تحمل معنى، كل صوت يشبه نغمة قلبها.

مع مرور الأيام، بدأت سلمى تفهم أن الريح ليست مجرد حركة هواء، بل تجربة حياتية تعلمها الصبر، الحرية، والشجاعة. بدأت تخرج من البيت كل يوم، تراقب الأطفال في الحقول، تساعدهم على استكشاف الطبيعة، وتكتب قصصًا عن الريح وعن القوة التي تحملها.

وذات ليلة، بينما كانت الريح تعصف بشدة، جلست سلمى على الشرفة، تتأمل الظلال والأشجار، تشعر بأن صوت الريح أصبح كأنه رسالة مباشرة لها من العالم، يقول لها: "الحياة مستمرة، ولا تنتظر أحدًا، فاستمتعي بكل لحظة."

وفي صباح اليوم التالي، وصلت رسالة أخرى، تقول:

"لقد وجدت طريقك، ولكن الطريق لم ينتهِ بعد."

ابتسمت سلمى، شعرت بأن حياتها قد تغيرت بشكل كامل. الريح، التي كانت في الماضي مجرد صديقة صامتة، أصبحت دليلها، معلمها، ورفيقها في رحلتها لاكتشاف العالم والحياة. تعلمت أن الخوف جزء من الرحلة، وأن الريح، بصوتها، تعلم الإنسان أن يكون حرًا ومستعدًا لمواجهة كل شيء.
كانت الريح تحرك الستائر كل صباح، تحمل معها رائحة الأزهار، أوراق الأشجار، وحتى همسات الماضي. سلمى، الآن، لم تعد مجرد فتاة هادئة، بل أصبحت امرأة تعرف كيف تستمع للعالم، كيف تتبع الإشارات الصغيرة، وكيف تحول كل همسة ريح إلى درس أو قصة، إلى أمل جديد يبدأ مع كل هبة هواء.

الريف، الريح، الشجر، والحقول المهجورة أصبحوا جزءًا من حياتها اليومية، جزءًا من نفسها. وكل يوم، كانت تكتب، تسافر، تحلم، وتستمع إلى الريح التي تحمل معها دائمًا شيئًا من الحياة، شيئًا من الحرية، وشيئًا من الحب الذي لا يعرف الحدود.

ظل المدينة القديمة

في قلب المدينة القديمة، حيث الحجارة تحتفظ بذكريات الأقدام الماضية، عاش كريم، شاب في الثلاثين من عمره، يعاني من شعور دائم بالاغتراب داخل مدينته وبين الناس الذين يعرفهم.

كان كريم يعمل رسامًا في ورشة صغيرة، يملأ اللوحات بألوان صامتة تحكي عن وجوه الناس وأزقتهم، عن الحياة التي يراها بعين مختلفة، عين ترى التفاصيل التي يغفل عنها الآخرون.

نشأ كريم في أسرة بسيطة، والده كان عامل بناء، ووالدته امرأة قوية تعلّمه الصبر والاحترام، لكنه فقد شقيقه الأكبر في حادث طرق، وتركه مع شعور بالفراغ والوحدة التي لم يملؤها شيء.

كان شارع الورشة مزدحمًا بالأصوات: الباعة، السيارات، الأطفال، همسات الجيران.

لكن كريم كان يعيش في عزلة داخلية، يراقب العالم من نافذة صغيرة، يلاحظ الألوان والظلال، يحفظ الوجوه على لوحاته قبل أن تختفي بين الناس.

كل مساء، كان يمشي في الأزقة القديمة، يلمس الجدران الباردة، يستنشق الهواء الثقيل، ويحاول فهم ما وراء صخب المدينة.

وذات يوم، بينما كان يرسم لوحة جديدة على نافذة الورشة، لمح فتاة صغيرة تبكي على الرصيف.

اقترب منها، سألها عن سبب الحزن، فارتعشت أصابعها الصغيرة وأخبرته أنها ضاعت عن منزلها، ولا تعرف كيف تعود.

ساعدها كريم، وأعادها إلى والدتها، لكن وقع الحادثة في قلبه كان أكبر من مجرد فعل الخير.

شعر بأن المدينة مليئة بالأرواح المفقودة، وكل شخص يحمل قصته الخاصة، وأنه يجب أن يكون شاهداً عليها، موثقاً لها، حامياً لها على طريقه الفني الخاص.

بدأ كريم بتوسيع لوحاته لتشمل صور الأطفال، البيوت القديمة، الأزقة الفارغة، النوافذ المغلقة، كل شيء يحمل جزءًا من قصة المدينة.
كانت لوحاته مليئة بالرمزية: الضوء الذي يخترق نافذة مظلمة يمثل الأمل، ظل الأشجار المتداعية يرمز للخوف من الماضي، والأبواب المغلقة تحكي عن الفرص الضائعة.

ومع مرور الوقت، بدأ الناس يلاحظون عمله، يأتون إلى الورشة، يشاهدون اللوحات، يبدؤون بالتحدث عن حياتهم، عن قصصهم الضائعة، وعن المدينة التي لا تتوقف عن الحديث لمن يستمع إليها.
أدرك كريم أن عمله لم يكن مجرد رسم، بل كان تسجيلًا للحياة، شهادة على الحزن والأمل، على الفقد والفرح، على كل ما يجعل المدينة حية في عيون الناس.

وذات مساء، بينما كان يسير في الشارع ليعود إلى الورشة، لاحظ بيتًا قديمًا كان مهجورًا منذ سنوات.
توقف أمامه، لمس الباب، شعر بالخشونة والبرودة، وكأن البيت نفسه يحرس أسرارًا.
دخل بحذر، فوجد أوراقًا مبعثرة، رسائل قديمة، صورًا مهترئة، كل شيء يحكي عن حياة كانت هنا ولم تعد.
أخذ بعض الأوراق، عاد بها إلى ورشته، وبدأ يحولها إلى لوحات، يدمج بين الواقع والخيال، بين الماضي والحاضر، ليعيد للمدينة صوتها المفقود.

المدينة القديمة لم تعد بالنسبة لكريم مجرد مكان يعيش فيه، بل أصبحت حكاية مستمرة، لوحة حية تتجدد يوميًا، كل شخص فيها جزء من هذه اللوحة، وكل خطوة وكل ورقة وكل ضحكة أو دمعة لها مكان في القصة الأكبر.

وفي النهاية، جلس كريم على شرفة الورشة، ينظر إلى المدينة القديمة، يرى الأطفال يلعبون، الباعة يصرخون بأصواتهم، المصابيح تنير الأزقة، والناس يمشون في طرقهم، وابتسم.

لقد أدرك أن الحياة مليئة بالقصص الضائعة، وأن الفن يمكن أن يكون وسيلة لاستعادة تلك القصص، لنقلها، ولخلق مساحة للأمل بين جدران المدينة القديمة التي طالما شعر بأنها خالية من الروح.

****

بيت بلا أبواب

في حيٍّ قديم، بين البيوت الطينية والجدران المشققة، كان هناك بيت بلا أبواب.

الناس يتهامسون عنه، يلقبونه بـ"بيت الصمت"، لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه، إلا نادرًا من يبحث عن شيء ضائع أو يختبر شجاعته.

داخل البيت، عاشت سارة، فتاة في السادسة والعشرين من عمرها، منذ أن فقدت والديها في حادث غامض قبل سنوات.

لم يكن البيت مجرد مأوى، بل أصبح عالمها بالكامل، جدرانه تحميها من الخارج، من المدينة، من الناس الذين لم يفهموها قط.

سارة لم تكن تعرف الوحدة بالمعنى التقليدي؛ كانت تراها حاضرة في كل مكان.

كانت ترى الناس وهم يمرون أمام نافذتها المكسورة، تسمع أصواتهم، تراقب حياتهم الصغيرة، وتحاول فهم العالم من بعيد، دون أن يكتشفوا وجودها.

في الصباح، كانت تجلس على حافة النافذة، تشرب شايها، تكتب يومياتها، تصف كل شيء تراه: الطفل الذي يركض في الأزقة، البائع الذي ينادي على بضاعته، الرجل الذي يمر كل يوم بنفس الطريق.

كل التفاصيل كانت بالنسبة لها عالمًا كاملًا، مساحة للتأمل، وحلقة صلة بين روحها والمدينة.

وذات يوم، سمعت صوت طرق خفيف على إحدى النوافذ المكسورة.

اقتربت بحذر، ورأت صبيًا صغيرًا يبتسم، يحمل رسالة مهترئة.

ناولها لها، ثم اختفى بين الزوايا.

الرسالة كانت مكتوبة بحبر باهت:

"أعرف أنك هنا... وأنا أبحث عنك منذ زمن."

تجمدت سارة، قلبها يخفق بقوة، يختلط فيه الخوف بالأمل.

من يكتب لها؟ كيف يعرف مكانها؟ ولماذا الآن؟

قرأت الرسالة مرارًا وتكرارًا، كل مرة تكتشف شيئًا جديدًا، شعورًا دفينًا لم تعرفه من قبل: شعور بأن هناك من يفهمها، من يراقبها، من يعرف صمتها.

بدأت الأيام التالية تحمل تغييرات بسيطة لكنها مؤثرة.

الرسائل تتوالى، كل واحدة تحمل لغزًا، كل جملة تقودها إلى زاوية جديدة في البيت، إلى صندوق قديم، إلى صورة مهترئة.

تفتح كل شيء، تحاول ربط النقاط، محاولة فهم ما يحدث، لكنها تدرك أن كل خطوة تقترب بها أكثر من الخارج، من الحياة، لكنها في الوقت نفسه تقرّبها من مواجهة الحقيقة المجهولة.

سارة بدأت تخرج تدريجيًا من البيت، تتنقل بين الأزقة، تراقب المدينة من قرب، لكنها لا تزال تحتفظ بالحدود، بخطوط الأمان التي رسمتها حول نفسها.

كل شيء يبدو مألوفًا، لكنه أيضًا مخيف، كل أصوات المدينة تبدو عالية جدًا، كل الناس متسارعين، وكل خطوة تتطلب شجاعة لم تعرفها منذ سنوات.

ومع مرور الوقت، اكتشفت أن الصبي الذي كان يسلمها الرسائل ليس سوى شقيقها الأصغر، الذي أرسله أحد الجيران لمساعدتها على الخروج من عزلتها.

كانت الصدمة كبيرة، لكنها تحولت تدريجيًا إلى شعور بالارتياح، شعور بأن الحياة لم تنسها، وأن الروابط العائلية كانت موجودة رغم كل الفقد.

سارة بدأت تستعيد حياتها شيئًا فشيئًا؛ تزور السوق، تلتقي بجيرانها، تتحدث مع الأطفال، تشاركهم القصص، تضحك معهم.

البيت بلا أبواب لم يعد مكان خوف، بل أصبح مأوى يرمز للذاكرة، للماضي، وللقوة الداخلية التي ساعدتها على مواجهة الحياة من جديد.

وفي النهاية، جلست سارة على عتبة البيت، تنظر إلى المدينة القديمة، ترى الناس يمرون، يسمع أصواتهم، تشعر بالمدينة في قلبها، وفي نفس الوقت تعرف أن كل خطوة خارج البيت كانت خطوة نحو الحرية، نحو الشجاعة، نحو حياة جديدة.

****

رسائل تحت المطر

كانت المدينة تمطر بغزارة ذلك اليوم، وكأن السماء أرادت أن تمحو كل صخب الشوارع، كل أصوات الباعة، وكل ضجيج السيارات.

في زاوية مظلمة من مقهى صغير، جلست ندى، فتاة في أواخر العشرينات، تحمل مظلة ممزقة، وتراقب المطر يتساقط على الأرصفة، يغسل الغبار من الذاكرة، ويترك أثره على القلوب.

ندى كانت تعرف كيف يستخدم المطر كمرآة للنفس، كرمز للحزن والفرح، للبدايات والنهايات.

منذ أيامها الأولى في المدينة، تعلمت أن الحياة تشبه المطر: أحيانًا تهب بغزارة، أحيانًا تتوقف فجأة، لكنك مهما حاولت، لا تستطيع التحكم بها، يمكنك فقط المشي تحتها، والشعور بكل قطرة، والسماح لها أن تغسل ما تريد أن تغسله من روحك.

ذات يوم، وجدت صندوقًا صغيرًا عند باب شقتها القديم، مهمل، مغطى بالغبار.

عندما فتحت الصندوق، وجدت داخله رسائل قديمة، مختومة بحبر باهت، عناوين لأشخاص لم تعد تعرفهم، كلمات توقفت عند نصفها، ونبرات مشاعر تائهة بين السطور.

الرسائل لم تكن موجهة لها مباشرة، لكنها شعرت بأنها دعوة للغوص في الماضي، لاستعادة حكايات مضت، وربما لإعادة اكتشاف الذات.

بدأت ندى بقراءة الرسائل، واحدة تلو الأخرى، تحت المطر.

كانت كل رسالة تحتوي على حكاية قصيرة عن الحب والخسارة، الفقدان والأمل، اللقاءات التي لم تتم، الكلمات التي لم تُقال.

كانت تشعر أن المطر يغسل الكلمات قبل أن تصل إلى القلوب، لكنه أيضًا يمنحها فرصة لتُعيد صياغتها، لتعيشها من جديد، وتفهم الرسائل التي تحملها لنفسها قبل الآخرين.

وفي الأيام التالية، أصبحت قراءة الرسائل تحت المطر طقسًا يوميًا:

الصباح: كوب من الشاي، جلسة قصيرة أمام النافذة، والتأمل في قطرات المطر.

الظهيرة: النزول إلى الشارع، السير تحت المطر، وملاحظة الناس الذين يندفعون خلف أعمالهم اليومية، وكأنهم لا يعرفون أن المطر يحمل رسائل للحياة.

المساء: الكتابة، تدوين الأفكار، رسائل لم ترسلها لأحد، ولكنها كانت وسيلة للتعبير عن كل ما في داخلها.

خلال هذا الطقس، لاحظت ندى شابًا آخر، يقف تحت شجرة كبيرة، يراقب المطر دون مظلة، يترك قطرات الماء تتساقط على وجهه، على ملابسه، على روحه.
كان اسمه مازن، فنان صغير يعشق الرسم، وقد بدأ برسم المدينة تحت المطر، الجدران، الأرصفة، وأحيانًا نفسه.
ابتسامة هادئة ارتسمت على وجهه عندما لاحظ ندى، وكأنهما عرفا لبعضهما منذ زمن بعيد، رغم أن اللقاء كان الأول.

بدأ الحديث بينهما بشكل متقطع، كلمات بسيطة عن المطر، عن المدينة، عن الصور التي يرسمها وما تعنيه لكل منهما.
ندى شعرت لأول مرة أن المطر لم يكن مجرد ظاهرة طبيعية، بل جسرًا بين شخصين، وسيلة للتواصل مع العالم الداخلي والآخرين في الوقت نفسه.

مع مرور الأيام، أصبحت الرسائل تحت المطر وسيلة لتقريب القلوب:

ندى كانت تكتب رسائل لنفسها، ثم تضعها في صندوق صغير، كأنها تطلقها إلى السماء مع المطر.

مازن كان يكتب رسائل قصيرة، يلصقها على جدران المدينة، تحت المطر، لعل شخصًا يقرأها ويشعر بما يشعر به.

كانت كل رسالة تحت المطر تحمل رمزية مزدوجة:

1. للماضي: استعادة ما فات، الاعتراف بما ضاع، الاحتفاظ بالذكريات.

2. للحاضر والمستقبل: القدرة على الحب، التواصل، والتغيير، مهما كانت الظروف صعبة.

وذات مساء، بينما كان المطر يزداد غزارة، أرسلت ندى رسالة أخيرة إلى الصندوق، كتبت فيها:

"أعرف الآن أن المطر ليس مجرد ماء، بل كلمات تنتظر أن تُقرأ، حكايات تنتظر أن تُفهم، وأرواح تنتظر أن تتواصل. سأستمر في المشي تحت المطر، سأستمر في الكتابة، سأستمر في الحب رغم كل شيء."

في تلك اللحظة، شعر مازن بأنه ليس وحيدًا، وأن المدينة بأكملها، بالرغم من صخبها وفوضاها، تحمل مكانًا للقلوب التي تنتظر، للذكريات التي لم تُنسَ، وللقصص التي لم تُروَ بعد.

المطر لم يتوقف، لكنه لم يكن عائقًا بعد الآن، بل كان رمزًا للفرصة، للغفران، ولإعادة اكتشاف الذات والعالم.

....

الحديقة المغلقة

في أطراف المدينة، حيث تصطف البيوت القديمة على جانبي شارع ضيق، كانت هناك حديقة مغلقة بسور عالٍ من الطوب الأحمر.

لم يكن أحد يعرف من يملكها، ولماذا بقيت مغلقة طوال السنوات، إلا أن أهل الحي اعتادوا النظر إليها من الخارج، يتساءلون عن سرها، ويخمنون من يعيش خلف السور.

ليلى، شابة في الخامسة والعشرين، كانت تهيم يوميًا قرب الحديقة، تنظر من الشقوق الصغيرة في السور، تشعر بغموضه يسحبها، وكأن هناك حياة تنتظرها خلفه.

نشأت ليلى في أسرة بسيطة، والديها كانا يعملان في السوق، لكنها شعرت دائمًا بالاغتراب في محيطها، وكأن المدينة لا تحتوي على مكان يخصها بالكامل.

الحديقة المغلقة كانت رمزًا لحياتها: جميلة، مليئة بالألوان والزهور التي لا تراها، لكنها بعيدة المنال، مجرد حلم يناديها بصمت.

في البداية، كانت تقف على الرصيف، تشاهد أوراق الأشجار، الأزهار البرية، وتخيل الحياة التي قد تحدث هناك، الحياة التي لم تُعطَ لها الفرصة للعيش فيها.

وذات يوم، لاحظت حركة خلف السور: ظل رجل يسير بين الأشجار، يزرع النباتات، يسقي الزهور، وكأن الحديقة حيّة بوجوده.

شعرت بالخوف، لكنها أيضًا شعرت بشيء غريب من الانجذاب، رغبة في الاقتراب وفهم هذا العالم المخفي.

ليلى بدأت تأتي يوميًا، تحمل دفترها وأقلامها، ترسم ما تراه من ثغرات بين الطوب، تحاول التقاط تفاصيل الحديقة، والأشجار، وألوان الزهور، وكل ما يخلق إحساسًا بالحياة خلف السور.

في أحد الأيام، لاحظ الرجل وجودها، اقترب وقال بصوت هادئ:

"لماذا تنظرين من بعيد؟ لمَ لا تأتي وتشاركينا الحديقة؟"

كانت الصدمة كبيرة، لم تتوقع أن يكون هناك شخص حي داخل المكان.
لكن شيئًا ما في صوته، في هدوئه، في ابتسامته، جعلها تشعر بالأمان لأول مرة منذ سنوات.
بدأت ليلى تدخل الحديقة تدريجيًا، تلمس النباتات، تشم الأزهار، وتتعلم كيف يمكن للمكان أن يكون جزءًا من الروح، كيف يمكن للسلام أن يملأ قلبها.

الحديقة لم تكن مجرد مساحة خضراء، بل كانت مدرسة للحياة، لكل درس لم تتعلمه ليلى بعد: الصبر، الاهتمام، العطاء، وفهم الطبيعة التي تمنح بلا حدود.
الرجل أصبح مرشدها، لكنه أيضًا رمز للمدينة نفسها، للغموض والجمال والقدرة على التجدد رغم القيود.

ومع مرور الوقت، بدأت ليلى تشعر بتغيرات عميقة في نفسها:

الخوف من المجهول تحول إلى فضول.

العزلة تحولت إلى شجاعة لاكتشاف العالم.
الصمت أصبح قدرة على الاستماع، والفهم العميق للحياة.
كل يوم، كانت تدون كل شيء في دفترها: أصوات الطيور، حركة الريح بين الأشجار، قطرات المطر التي تهبط على الزهور، الحشرات الصغيرة، والألوان التي تتغير مع الضوء.
كانت الحديقة تعلّمها الصبر، لكنها أيضًا كانت تكشف لها أن الحرية تبدأ عندما نفتح أبوابنا الداخلية ونسمح لأنفسنا بالعيش خارج قيود الخوف والوحدة.
وذات مساء، أثناء غروب الشمس، شعرت ليلى بأن شيئًا ما تغير: رائحة الزهور كانت أقوى، الألوان أكثر إشراقًا، وصوت الريح يحمل رسالة غير مرئية.
اقترب الرجل وقال: "لقد أدركت شيئًا مهمًا... الحديقة ليست فقط هنا، بل داخلك أيضًا. ما تعلمته هنا، عليك أن تأخذه معك إلى حياتك."

ابتسمت ليلى، شعرت بأن هذه اللحظة كانت تتويجًا لكل ما مرت به من خوف ووحدة، وأن الحديقة المغلقة أصبحت الآن مفتوحة، ليس فقط من الخارج، بل في قلبها وروحها.

وفي نهاية القصة، جلست ليلى على مقعد حجري، تنظر إلى السماء التي تميل للغروب، وتفكر في الحياة القادمة: كيف ستفتح أبوابها، كيف ستشارك جمالها، وكيف ستنقل كل ما تعلمته للآخرين.

الحديقة المغلقة أصبحت رمزًا للأمل، للتغيير، ولقدرة الإنسان على الاكتشاف الذاتي، حتى عندما يكون محاصرًا بجدران الحياة الصعبة.

الشرفة المهجورة

في زاوية مهملة من الحي القديم، كانت هناك شرفة صغيرة متداعية، تطل على شارع ضيق يزدحم بالذكريات.

الشرفة كانت مهجورة منذ سنوات، لكنها لم تفقد روحها؛ كل لوح خشبي، كل قضيب معدني، وكل زجاج مكسور كان يروي قصة قديمة، صدى أقدام عاشقين، ضحكات أطفال، وأحاديث نسيت بين جدران الحي.

ليلى، شابة في منتصف العشرين، تعيش في هذا الحي منذ طفولتها.

كانت تحب السير في الشوارع القديمة، النظر إلى البيوت المتلاصقة، واستنشاق الهواء الذي يحمل رائحة الخبز الطازج، القهوة، والحكايات المنسية.

الحي بالنسبة لها ليس مجرد مكان، بل سجل حي لحياتها، كل زاوية، كل نافذة، كل باب مغلق يخبئ قصة لم تُروَ بعد.

الشرفة المهجورة جذبت انتباهها منذ صغرها.

كانت تتوقف أمامها، تتأملها من الأسفل، تحاول أن تتخيل من كان يعيش فيها، ما كانت الحياة وراء القضبان المكسورة، ولماذا تُركت هكذا مهجورة.

وذات يوم، قررت أن تصعد، متسائلة عن شعور المكان من الداخل.

كانت السلالم مهترئة، كل خطوة تصدر صريرًا يربك قلبها، لكنها استجمعت شجاعتها.

عندما وصلت، وجدت الصمت يملأ المكان، لكنه لم يكن خالياً؛ كان يحمل حضور كل من عاش هناك من قبل، كأن الجدران تتنفس، تتحدث، تهمس.

بدأت ليلى بالجلوس على الأرض، تلمس لوح الخشب القديم، وتستمع لأصوات المدينة من الأسفل: خطوات المارة، صوت عربات الباعة، صدى ضحكات الأطفال.

الشرفة أصبحت لها مرآة للحياة، مكانًا لتأمل كل ما فات، وكل ما لم يُقال.

في الأيام التالية، بدأت تتحول الشرفة إلى روتين يومي لها:

في الصباح، تصعد، تشرب قهوتها، تكتب أفكارها، رسائل لم ترسلها لأحد.
في الظهيرة، تفتح نافذة الشرفة لتسمح للرياح بالدخول، وكأنها تتفاوض مع الزمن نفسه.
في المساء، تنظر إلى الأضواء التي تتلألأ في البيوت المجاورة، تستعيد صورًا من طفولتها، تضحك أحيانًا، تبكي أحيانًا أخرى.
الحي من حولها لم يكن فقط خلفية؛ كان جزءًا من الصراع الداخلي.
الأزقة الضيقة، الأبواب المغلقة، جدران الطوب القديمة كلها رموز لوحدة الإنسان، لقدر يتكرر في كل مكان، لكنه أيضًا يحمل فرصة لإعادة الاكتشاف.

وذات يوم، لاحظت شابًا يقف في الأسفل، يراقبها بصمت.
كان اسمه فارس، شاب هادئ، يعمل في متجر للكتب القديمة.
ابتسامة خجولة رسمت على وجهه، لكنها لم تكن مجرد ابتسامة؛ كانت دعوة للحديث، للانفتاح، للاتصال بين شخصين يعلمان أن المدينة تحمل لهما ذكريات غير مكتملة.

بدأ اللقاء بين ليلى وفارس ببطء.
في البداية، كانا يتبادلان التحية فقط، ثم بدأ الحديث عن المدينة، الحي، البيوت القديمة، والقصص التي تحملها كل زاوية.
الشرفة المهجورة أصبحت مسرحًا للتواصل: مكانًا للذكريات، للفضول، ولإعادة بناء الذات من جديد.

ومع مرور الأيام، اكتشفت ليلى أن الشرفة ليست مجرد مكان مهجور؛ إنها تمثل المساحة الداخلية لكل إنسان:
الفراغات التي نخاف الاقتراب منها.
الجوانب المهملة من النفس.
القدرة على الاستماع للزمن، للتجارب، وللآخرين.

فارس كان يعلمها الصبر، التركيز، وكيف يمكن للحياة أن تكون أجمل عندما نسمح لأنفسنا بالعيش خارج قيود الخوف والوحدة.
كانا يكتبان رسائل لبعضهما، لم يرسلاه إلى أحد، لكنها وسيلة للتعبير، للتواصل العميق، وتجربة الحياة من داخل الشرفة المهجورة.

وذات مساء، بينما كانت الشمس تغرب، قالت ليلى:
"الشرفة هذه، رغم مهجورتها، علمتني أن أكون حرة، أن أعيش اللحظة، أن أستمع لنفسي."
ابتسم فارس وقال: "وهي أيضًا تعلمنا أن كل شيء يمكن أن ينبض بالحياة، إذا صرنا قادرين على رؤيته."

الليل حلّ، الأضواء تتلألأ، والمدينة لم تتوقف عن حكايتها.
ليلى شعرت لأول مرة أنها جزء من شيء أكبر، أنها لا تزال تستطيع الحلم، الضحك، التغيير.
الشرفة المهجورة لم تعد مجرد خشب وحجارة، بل أصبحت رمزًا للحرية الداخلية، وللنمو الشخصي، ولقدرة الإنسان على إعادة اكتشاف ذاته حتى في الأماكن الأكثر مهجورة.

مدينة الصمت

في ركن مهمل من المدينة، حيث المباني المتداعية تحاكي أحلامًا ماتت قبل أن تولد، كانت ليلى تعيش حياتها شبه خفية، مختبئة بين الجدران الصامتة، تحاول أن تفهم العالم دون أن يراها أحد.

ليلى فتاة في السابعة والعشرين، نشأت بين أمها المريضة وأخٍ أكبر غائب غالبًا بسبب العمل.

كانت طفولتها مليئة بالهواجس، بالصمت، بالضوء الخافت الذي ينسكب من نوافذ البيت المهجور أحيانًا، يلمس وجنتيها ويذكّرها بعالم بعيد عن الضوضاء والفوضى التي خلفتها الحياة خارج جدران المنزل.

المدينة حولها كانت صاخبة، لكنها بدت لها مليئة بالصمت الداخلي؛ كل الناس يسيرون أمامها، يتحدثون، يضحكون، يبكون، لكنها كانت ترى ما خلف الكلمات، وراء العيون، بين الأصوات.

تعلمت أن تستمع أكثر مما تتكلم، أن تلاحظ أكثر مما تشارك، أن تحفظ أسرار الناس كما تحفظ قلبها، بدون أن تفشيها لأحد.

كانت ليلى تعمل في مكتبة صغيرة في وسط المدينة، حيث الكتب تتراكم على الطاولات، الروائح القديمة للورق والحبر، أصوات الصفحات وهي تُقلب، كل ذلك كان يمنحها شعورًا بالطمأنينة، وكأنها جزء من عالم لا يزول، عالم ثابت رغم تغير كل شيء آخر.

وذات مساء، بينما كانت ترتب الكتب القديمة، عثرت على دفتر صغير مغلق بإحكام، لم تره من قبل.

فتحته بحذر، ووجدت صفحات مليئة برسائل مجهولة، كلمات تفيض بالحزن، بالحلم، بالألم، وبالأمل.

الرسائل كانت من شخص لم يكتب اسمه، لكن كل كلمة فيها تلامس روحها، تعكس شعورًا عميقًا فقدته هي، شعورًا بالوحدة، بالانتظار، بالبحث عن معنى الحياة في مدينة تبدو بلا قلب.

مع مرور الأيام، بدأت ليلى تتعمّق في قراءة هذه الرسائل، تحاول فهم كاتبها، تشعر أنه يعرفها أكثر مما تعرف نفسها.

أصبح لها طقس: كل مساء، بعد انتهاء العمل، تجلس في زاوية المكتبة، تفتح الدفتر، وتقرأ الرسائل بصوت منخفض، كأنها تحادث شخصًا غائبًا، روحًا خفية، صديقًا لم تلتقِ به قط.

المدينة بدأت تتغير في نظرها؛ الأزقة الضيقة لم تعد مجرد طرق، بل أصبحت رموزًا للخيارات، للأمل، للخوف، لكل ما قد يكون ويصبح.

الناس الذين كانت تراهم كل يوم أصبحوا شخصيات في روايتها الداخلية، كل ضحكة، كل دمعة، كل همسة تحمل قصة يمكن أن تكتبها، يمكن أن تعيشها من جديد عبر الدفتر ورسائله.

وذات يوم، أثناء عودتها من العمل، شاهدت طفلًا صغيرًا جالسًا على الرصيف، يحمل دمية ممزقة، عيناه مليئتان بالحزن والدهشة.

اقتربت منه، سألت عن أسرته، لكنه لم يرد.

شعرت ليلى بشيء مألوف، كأن هذا الطفل يمثل كل الأطفال الذين فقدوا، كل الأرواح التي تبحث عن دفء، عن حضن، عن صديق.

قررت أن ترافقه، أن تمنحه جزءًا من الرعاية والحنان الذي لم يكن متاحًا لها في طفولتها.

الدفتر أصبح رابطًا بين ليلى والطفل، كل رسالة كانت درسًا، كل كلمة كانت تذكيرًا بقيمة الحياة، بالحب، بالشجاعة.

ومع مرور الوقت، بدأت المدينة تتقبل وجودها، أو ربما هي تعلمت كيف تتقبل المدينة كما هي، بكل صخبها وضوضائها، بكل ظلمها وقسوتها، بكل لحظاتها الجميلة والمرة.

وذات ليلة، بينما كانت ليلى تجلس في الشرفة، تنظر إلى الشارع، إلى المصابيح الخافتة، إلى نوافذ الجيران، تذكرت كل شيء: طفولتها، دفتر الرسائل، الطفل، المكتبة، المدينة كلها.

ابتسمت بحزن، لكنها ابتسامة مليئة بالقوة، لأنها أدركت أن الصمت الذي عاشته لم يكن فراغًا، بل مساحة للتفكير، لفهم الذات، للبحث عن الأمل، ولخلق حياة جديدة في قلب مدينة الصمت.

الظل الذي ابتلع المدينة

في حيٍّ مكتظّ، حيث الأصوات تتداخل مع الروائح والأنوار الخافتة تتخلل الأزقة، عاش نادر، شاب في الثلاثينيات، لكنه كان يشعر أن كل خطوة يخطوها تثقل كاهله أكثر.

المدينة كانت غريبة عليه، وكأن كل بيت، كل شارع، وكل وجوه الناس تذكّره بما فقده، بما لم يحصل عليه، وبما لم يُتاح له أن يكون.

نادر نشأ بلا والده، ووالدته كانت امرأة صلبة، مشغولة دائمًا بالعمل لتوفير لقمة العيش، تاركة له حرية كبيرة، لكنها كانت قاسية في الحب، محدودة في العناق والكلمات الدافئة.

الطفولة بالنسبة لنادر كانت ظلًّا طويلًا، ملأ حياته بالوحدة، بالخوف، وبحس أنه ليس كغيره من الأطفال الذين عرفوا الحنان واللعب بلا حدود.

كان نادر يهرب إلى أسطح المنازل، إلى الأزقة الخلفية، يتخيّل العالم كما يشاء، يركض خلف خياله، يبني له قصصًا صغيرة، يحاور الظلال، يسمع همس الريح وكأنها تحمل أصوات أحبائه الذين فقدهم.

مع مرور الوقت، أصبح شابًا هادئًا، قليل الكلام، لكنه عميق التفكير.

كان يعمل في متجر صغير للأدوات المكتبية، حيث كل قلم، كل دفتر، وكل ورقة يراها تحكي له عن حياة أخرى، عن حياة يمكن أن تكون له لو كانت الظروف مختلفة.

لكن المدينة لم تتوقف عن اختبار روحه؛ كل زقاق يمر به، كل شخص يراه، كل حدث عابر يذكره بفقدان والده، بغياب الأمان، بالفراغ الذي يملأ قلبه.

وذات مساء، بينما كان نادر يسير في السوق، لاحظ طفلة صغيرة، تحمل دمية ممزقة، عيونها حزينة، ووجهها يعكس خوفًا لم يعرفه أي طفل آخر.

اقترب منها، حملها بين ذراعيه، وسألها عن أهلها، لكنها لم تستطع الإجابة.

شعر نادر بشيء مألوف؛ هذا الألم، هذا الفراغ، كان يعكس ما عاشه هو نفسه.

قرر أن يعتني بها، أن يوفر لها ما لم يحصل عليه هو: الدفء، الحماية، الحنان.

مع مرور الأيام، أصبح نادر مسؤولًا عن الطفلة، التي سمت نفسها ياسمين.

علمها القراءة والكتابة، كان يروي لها قصصًا عن الطيور، عن النجوم، عن المدينة التي يمكن أن تكون أكثر رحمة إذا عرف الإنسان كيف يعيش فيها بمحبة.

لكن الحياة لم تتوقف عن اختبار نادر: جيران يتهامسون، أشخاص من الماضي يظهرون فجأة، أحداث غير متوقعة تضغط عليه ليختار بين حماية ياسمين ومواجهة ماضيه المؤلم.

في إحدى الليالي، بينما كان نادر يجلس مع ياسمين على سطح المنزل، نظر إلى المدينة، وأدرك أن كل زقاق، كل بيت، كل نافذة تحكي عن أطفال فقدوا، عن شباب لم يكبروا حقًا، عن قصص ضاعت في صخب الحياة.

كتب في دفتره:

"المدينة تأكل أرواحنا، لكنها تمنحنا أيضًا فرصة لنكون أفضل... لنحمي من نحب، لنغير ما يمكن تغييره، لنعيش رغم كل الألم."

وذات يوم، ظهرت فجوة كبيرة في حياته: أحد الأشخاص من الماضي جاء ليطالب نادر بماضيه، بقراراته القديمة، بما لم يكن مستعدًا لمواجهته.

شعر أن المدينة كلها تقف ضده، كل الناس، كل الأزقة، وكل الوجوه التي عرفت صمته ووحدته.

جلس على الرصيف، أغمض عينيه، تذكر طفولته، فقدان والده، صمت والدته، كل لحظة ألم عاشها.

لكنه رفع رأسه، أخذ نفسًا عميقًا، وقال: لن أسمح للماضي أن يبتلع حياتي، لن أسمح للمدينة أن تسرق مني الفرح، سأظل واقفًا، سأحمي ياسمين، سأبني لنا حياة رغم كل شيء.

مع مرور الوقت، أصبح نادر رمزًا صغيرًا في الحي: شخص يعرف قيمة الحماية، قيمة الحب، قيمة الصبر.

المدينة لم تعد ظله الوحيدة، بل أصبحت ساحة يواجه فيها تحدياته، يختبر فيها قدرته على الحب، على التضحية، على الشجاعة.

وفي النهاية، جلس نادر مع ياسمين على سطح المنزل، ينظران إلى المدينة، إلى الأزقة، إلى الأطفال الذين يلعبون، إلى النجوم التي تتلألأ في السماء.

ابتسم نادر، لأنه أدرك أن الظل الذي ابتلع المدينة لم يعد قوياً كما كان، وأنه قادر على خلق مساحة للدفء، للحب، وللأمل داخل قلبه، داخل المدينة، وداخل كل من حوله.

ظلّ فوق الماء

في حي قديم على طرف المدينة، حيث تصطف البيوت القديمة كجثث أفقية تحت الشمس المحرقة، كان يعيش كريم، شاب في منتصف العشرينيات، لكنه محمّل بثقل لا يعرفه أحد.

منذ طفولته، كان الماء يشغله: نهر صغير يمر خلف بيت العائلة، بركة مهجورة، أو أي بركة ماء في الحي.

الماء بالنسبة له لم يكن مجرد سائل، بل مرآة الروح، انعكاس الحنين والخوف والفرح الضائع.

كريم كان ابنًا لأسرة متواضعة، والده يعمل نجارًا، والدته تبيع الخبز في السوق كل صباح.

كان له أخت صغيرة، ليلى، تكبره بخمس سنوات، وكانت دائمًا مصدر الحنان والابتسامات في بيته، رغم صخب الحي وغلظة الواقع.

في المنزل، كان الجو مشبعًا بالضوضاء: صوت الخشب تحت أدوات والده، صراخ الجيران أحيانًا، وحفيف الريح الذي يمر بين النوافذ القديمة.

لكنه رغم كل ذلك، شعر منذ صغره بأنه مختلف.

بينما كان الأطفال يلعبون في الشوارع، كان كريم يجلس قرب الماء، يراقب انعكاس السماء فيه، يحلم بما وراء المدينة، بما وراء الحي، بما وراء الحدود المألوفة للواقع.

في أيام المدرسة، كان كريم هادئًا، قليل الكلام، لكنه متيقظ جدًا لما حوله.

كان يستمع أكثر مما يتحدث، يلاحظ التفاصيل التي يغفل عنها الآخرون: طريقة وضع الكتب على الرف، ابتسامة المعلمة عند ذكر قصة، صوت الطيور عند الصباح.

في كثير من الأحيان، كان يهرب إلى النهر بعد المدرسة، يجلس على حجر كبير عند حافته، ينظر إلى الماء وهو يتحرك ببطء، كأنه يروي له أسرار الحياة.

وذات يوم، بينما كان يجلس هناك، لاحظ فتاة صغيرة، تجلس على ضفة النهر الأخرى، تراقبه بصمت.

كانت شعرها أسود كالليل، عيونها واسعة وفضولية، تحمل في يدها دفتر رسم، وتلوّن بعض الزهور على الصفحة.

لم يعرف كريم كيف يقترب منها، لكنه شعر بنبض غريب في قلبه: الفضول، الرغبة في التواصل، الرغبة في أن يشاركها سرّ الماء.

أخذ يذهب كل يوم إلى نفس المكان، يراقبها، وأحيانًا يلوّح بيده، فتلوح له بردّة فعل بسيطة، ابتسامة خجولة، أو قلب صغير مرسوم على صفحة الدفتر.
مع الوقت، بدأ يشعر أن وجودها يمنحه شيئًا لم يعرفه من قبل: شعور بالانتماء، بالأمان، بالدفء.

في البيت، كانت الأيام تمضي بوتيرة بطيئة، لكن روتين كريم الداخلي كان مزدحمًا بالأفكار. كان يكتب يومياته على أوراق ممزقة، يلصقها بين صفحات الكتب القديمة، يحكي لنفسه ما شاهده في النهر، ما شعر به من خوف أو فرح.
أحيانًا كان يقرأها بصوت مرتعش، يحاول أن يفهم نفسه، أن يفك شفرة المشاعر التي تحترق بداخله.

وذات مساء، بينما كان كريم يجلس على ضفة النهر، سمع صراخًا بعيدًا.
كانت الفتاة الصغيرة قد سقطت في الماء، حاولت المقاومة، لكن التيار بدأ يجرفها بعيدًا.
لم يتردد، قفز إلى الماء، رغم الخوف من العميق، ورغم برودة الماء التي قطعته كالسكاكين.
أمسك بها قبل أن يبتلعها النهر، ورفعها على الضفة، يغطيها بملابسه ويحاول تهدئتها.

في تلك اللحظة، لم تعد مجرد فتاة صغيرة أو طفل، بل كانت رمزًا لكل شيء يعيشه كريم: الخوف، الشجاعة، الحب الأول، الثقة المفقودة، والأمل الجديد.
ابتسمت له بخجل، وقالت: شكراً... لم أنسَ لك هذا أبداً.
تلك العبارة الصغيرة صنعت في قلبه ثورة هادئة، شعور لم يعرفه من قبل: أنه قادر على حماية الآخرين، على مواجهة المجهول، على أن يكون جزءًا من الحياة، لا مجرد مراقب لها.

مرت الأيام، وبدأت العلاقة بينهما تنمو.
كانا يجلسان معًا، يراقبان انعكاسات الماء، يتحدثان عن أحلامهما، عن المدن البعيدة، عن الغيم الذي يشبه القطن.
أحيانًا كانا صامتين، يتأملان الماء معًا، ويشعران بأن كل شيء يمكن أن يُقال بدون كلام.
أصبح النهر بالنسبة لهما عالمًا صغيرًا، يختزل الفرح والحزن، الأمان والخطر، الصمت والضحك، كل شيء في قلب الحياة.
لكن المدينة، كما هي العادة، لم تكن رحيمة.
أحد جيران كريم لاحظ اختفائه لفترات طويلة، وبدأ يسأله والداه: أين تذهب طوال الوقت؟ ماذا تفعل هناك؟
أخبرهما عن الفتاة، عن النهر، عن شعوره الغريب بالانتماء والطمأنينة.
في البداية، شعر والده بالقلق، وخوف على ابنه، لكن مع مرور الوقت، رأى تغيره: أصبح أكثر هدوءًا، أكثر حكمة، وأكثر وعيًا بالمسؤولية.
تعلم أنه لا يملك منع كريم من التواصل مع الحياة، بل يجب أن يساعده على مواجهتها.

وفي يوم عاصف، اجتاح النهر بقوة، حمل معه أشياء صغيرة، أوراق، أغصان، حتى بعض الدمى الممزقة.
خافت الفتاة، وحاولت الهرب، لكن كريم كان هناك، أخرس الرياح بصوته الداخلي، سيطر على خوفه، وحملها إلى مكان آمن بعيدًا عن التيار.
كانت تجربة قاسية، لكنها علمته شيئًا مهمًا: الشجاعة ليست غياب الخوف، بل القدرة على مواجهته، والوفاء بالوعد مهما كانت الظروف.

في البيت، كتب كريم كل ما حدث في دفتره، حاول أن يفكّر في المعاني العميقة: لماذا يحدث كل شيء بهذه الطريقة؟ لماذا يضعه القدر في مواجهة الخطر والاختبار؟

كانت أفكاره مليئة بالرمزية: النهر ليس مجرد ماء، بل اختبار لكل شيء تعلمه منذ الطفولة، كل خوف، كل حزن، كل حلم صغير.

ومع مرور الأسابيع، أصبح كريم والفتاة جزءًا من العالم معًا.
كانا يذهبان إلى المدرسة، يدرسان، يلعبان أحيانًا، ويستمران في مراقبة النهر، الذي أصبح مرآة حياتهما، رمزًا للمعركة بين الخوف والشجاعة، بين الوحدة والانتماء، بين الماضي والمستقبل.

وفي أحد الأيام، أثناء جلوسهما على ضفة النهر، أدرك كريم شيئًا مهمًا: أنه لم يعد الطفل الذي يراقب الحياة من بعيد، بل أصبح مشاركًا فيها، محميًا بها، ومسؤولًا عن جزء منها.
عرف أن الحياة ليست مجرد انتظار أو مراقبة، بل خطوات صغيرة، قرارات متواصلة، مواجهة للألم والفرح على حد سواء.
النهر، بالماء المتدفق، انعكس فيه ظلّه للمرة الأولى، ظلّ كريم الذي أصبح جزءًا من العالم، ظلّ يتعلم أن يكبر بروحه، أن يعيش بكل معنى الحياة

****

الطفل الذي لم يكبر

في حيّ قديم من المدينة، حيث البيوت متلاصقة كأوراق شجرة، عاش سامي، طفل لم يكبر كما ينبغي.
لم يكن الأمر متعلقًا بعمره البيولوجي، بل بروحه التي تأخرت عن اللحاق بالعالم، وبعينين احتفظتا ببراءة نادرة، لم يعرفها الآخرون منذ زمن.

كانت والدته، سيدة رقيقة الملامح، تحاول جاهدة أن تغرس فيه شجاعة الحياة.
كل صباح، كانت تقف عند عتبة البيت، تمسح الغبار عن وجهه، وتحثّه على اللعب مع الأطفال الآخرين في الشارع.
لكن سامي كان دائمًا يختبئ خلف الجدار، يراقب العالم من نافذة صغيرة، ويختبئ بين الظلال.
في بعض الأيام، كانت الأم تجلس بجانبه، تحاول إشراكه في الحديث، تتحدث عن الطيور، عن أشجار الحي، عن الطقس، لكن كلماته كانت قليلة، وتبقى أصواته خافتة، كأنه يخشى أن يلتقطها الهواء وينقلها بعيدًا عن قلبه.

الحي نفسه كان عالمًا متناقضًا.
أزقته ضيقة، أبوابه قديمة ومغلقة معظم الوقت، وجدرانه تحمل رسومات قديمة لوجوه لم يعد أحد يعرف أصلها.
المدينة ثابتة، لا تتغير، كأن الزمن نسي أن يمضي، وترك سامي عالقًا بين ما كان وما سيكون.
كل صباح كان يسمع أصوات الباعة، صياح الأطفال، خطوات المارة، لكنه لم يكن يجرؤ على الاقتراب.
حتى رائحة الخبز الطازج التي كانت تفوح من الفرن المجاور كانت تذكره بالطفولة التي لم يتمكن من عيشها.

في المدرسة، كان سامي مختلفًا عن الجميع.
الأطفال الآخرون يركضون ويصرخون، يلهثون وراء كرة أو لعبة، بينما هو يجلس في زاوية، يحدق في الكتابة على الجدار، أو في حروف الكتاب المدرسي التي تبدو له كحكايات من عالم آخر.
المعلمون حاولوا مساعدته، لكنهم لم يعرفوا كيف يصلون إلى قلبه، قلبه الزجاجي الهشّ، الذي لا ينكسر لكنه يلمس العالم بحذر شديد.

كان له روتين يومي صغير، يبدأ في الصباح قبل المدرسة: يقف أمام النافذة الصغيرة لغرفته، يراقب الناس في الشارع، يلاحظ التفاصيل الدقيقة: شخص يمشي بخطوات ثقيلة، طفل يركض خلف قطة، عربة الخضار تمر بصوت العجلات على الحجارة المشققة.
كل شيء كان يلاحظه بعناية، لكن لم يكن يتدخل، لم يكن جزءًا من الحياة بعد.

وفي البيت، كان لديه طقس غريب.
يكتب رسائل لنفسه على دفاتر صغيرة، يعلقها على جدار غرفته، أو يخبئها في صندوق قديم.
كل رسالة كانت تحمل حلمًا صغيرًا، أمنية لم يجرؤ على تحقيقها:
أتمنى أن أتمكن من الركض مثل الأطفال الآخرين... أتمنى أن أصنع صديقًا... أتمنى أن أضحك بحرية... أن أكون موجودًا دون خوف.

والدته كانت تراقبه من بعيد، قلقة عليه، لكنها كانت تعرف أن هذه الروح تحتاج إلى صبر، تحتاج إلى مساحة لتتنفس.
كانت تدخل غرفته أحيانًا، تمسح على شعره، تهمس: لا تقلق يا صغيري، كل شيء سيأتي في وقته.
أحيانًا تجلس معه صامتة، تشاركه الهواء في الغرفة، كأنها تقول له: أنا هنا... لا تخف... العالم لا يعضّ.

وذات يوم، أثناء التجوال في السوق، لاحظ سامي صبيًا صغيرًا يبيع الفاكهة عند زاوية الباعة.
ابتسم له الصبي بحرارة، لكن سامي لم يرد الابتسامة، لم يعرف كيف يشارك الآخرين مشاعره.
مع ذلك، بدأ شيء غريب يتغير داخله، شعور لم يختبره من قبل: الرغبة في الاقتراب، في لمس الحياة، في أن يكون جزءًا من العالم حوله.

في أيامه الطويلة، كان يتذكر أخاه الراحل.
أخوه الذي سبق أن تركه وحيدًا في هذه المدينة، كان صوته يرنّ في رأسه أحيانًا، ذكريات الضحك، اللعب، وحتى الشجارات الصغيرة التي انتهت دائمًا بقبلات على الوجه.
وجد سامي في صندوق قديم على العلية صور العائلة، ودفاتر صغيرة لأخيه الراحل.
بين الصور، رأى نفسه في عمره ذاته، يقف مبتسمًا أمام المنزل، وعيناه تلمعان بالأمل.
تذكّر شعور الطفولة الحر، لحظات الطفولة المفقودة، والضحك الذي اختفى.
في تلك اللحظة، شعر بشيء يتغير داخله، قرار هادئ لكنه حازم: سيبدأ بالخروج تدريجيًا، خطوة خطوة، من عالمه الداخلي إلى العالم الخارجي.

بدأ سامي يخرج إلى الحي في الصباح الباكر، يراقب الحياة حوله، يسمع أصوات الباعة، رائحة الخبز الطازج، ضحك الأطفال الآخرين.
لم يجرؤ بعد على اللعب معهم، لكنه بدأ يتنفس الهواء، يتعلم أن الحياة موجودة، وأنه جزء منها.
مع مرور الأيام، بدأ التغيير يظهر في عينيه.
البراءة لم تختفِ، لكنها تحوّلت إلى فضول، إلى شغف صغير يفتح قلبه للعالم.
بدأ الأطفال الآخرون يقتربون منه، يسألونه عن الكتب التي يقرأها، عن الصور التي يعلقها على الجدار، وعن رسائله الصغيرة.
سامي، لأول مرة، يبتسم بحرية.

تعلم أن الابتسامة ليست ضعفًا، وأن الاقتراب من الآخرين ليس خطرًا.

لكن المدينة لم تتوقف عن اختبار روحه.
حادث بسيط في السوق، صخب شديد، دفعه للهرب إلى زاوية مظلمة، قلبه يرتجف، وذكريات وحدته تعود.
جلس على الرصيف، أغمض عينيه، أخذ نفسًا عميقًا، وقال لنفسه: لن أسمح للخوف أن يوقفني مرة أخرى.
نهض، استجمع شجاعته، وعاد إلى وسط السوق، إلى الأطفال، إلى الحياة التي بدأت تطرق بابه بخفة.

في المساء، جلس سامي على سطح البيت، ينظر إلى الأفق، ويحلم بعالم كبير، واسع، مليء بالفرص.
عرف أن الطريق طويل، وأنه لا يزال طفلًا، لكنه طفل يختار أن يكبر بروحه، أن يعيش رغم كل العقبات.
النافذة الصغيرة التي كان يراقب منها العالم أصبحت الآن مفتوحة، تسمح له برؤية نفسه والعالم معًا، كأنه بدأ للتو رحلة الحياة الحقيقية.

وفي الليالي الهادئة، كان سامي يكتب رسائل جديدة على دفاتر ملونة، يعلقها على الجدار، على أمل أن يسمعها العالم، أو يسمعها هو نفسه عندما يكبر، ليعرف أن كل خطوة صغيرة يمكن أن تُحدث فرقًا.

****

نافذة تطل على الفراغ

كانت النافذة أكثر من مجرد زجاج وإطار خشبي؛ كانت مرآة حياتها، ساحة أحلامها، ومحكمة أحزانها.

كانت تقف أمامها كل صباح، تشرب قهوتها السوداء في صمت، وتحدّق في الشارع الضيق خارج بيتها القديم.

الشارع نفسه لم يتغير منذ سنوات، لكنه يذكّرها بكل ما فقدته: أصدقاء رحلوا، جيران هاجروا، وأحاديث اختفت مع الريح.

الأرصفة مشقّقة، والأشجار يابسة، وعندما تهب الريح، يتطاير الغبار كأنه يحمل صرخات الماضي.

في البداية، كانت الجارات يأتين لمواساتها.

يخبرنها بخبر يبعث الأمل ثم ينسحب فجأة: "رأيناه في المدينة"، "سمعنا أنه أسير"، "ربما عبر الحدود"،

لكنها تعلمت أن الكلمات لا تعيد الغائب، وأن المواساة لا تملأ الفراغ.

فانقطعت عن الجميع، واحتفظت بالنافذة، كأنها آخر صديق صادق في حياتها.

كان اسمه يوسف، خرج من البيت يومًا عاديًا وقال لها: "لن أتأخر... الطريق قصير."

لم يعد.

الطريق القصير امتد ليبتلع سنواتها، وتركها تتأرجح بين الأمل واليأس، بين الانتظار والصمت.

كل صباح كانت تصنع قهوتها، تجلس أمام النافذة، تمد يدها لتزيح الغبار عن الزجاج، وتنظر في الفراغ كما لو كان يحمل إجابة.

كانت ترى خياله أحيانًا، خطواته، حقيبته، ابتسامته الخجولة.

وعندما يشتد الحنين، تجلس على الأرض، تضع رأسها على ركبتها، وتستعيد ذكريات بسيطة: ضحكته في المطبخ، الطريقة التي يربط بها حذاءه، وعده أن يحميها دائمًا.

الليل كان أكثر وحشية.

الستائر تسدل، لكنها تبقى يقظة، تصغي إلى أصوات البيت.
تسمع وقع خطواته، أو صوت الباب يطرق، تفتح بسرعة فلا تجد سوى الظلام.
تضحك بمرارة: حتى الأبواب تتواطأ مع وحدتي.

كانت تحتفظ بملابسه في الخزانة، كل قطعة تحمل رائحة الماضي، كل قماش يهمس باسم يوسف.
كانت تفتحها لتشمّها، لتستعيد تفاصيل اليوم الذي رحل فيه، لتبكي بصمت، بعيدًا عن أعين الجميع.
ابن الجيران كان يتهامس مع أصحابه: "إنها مجنونة، تنتظر ميتًا."
لكنها لم تهتم.
كانت مؤمنة أن يوسف حيّ، وأن النافذة لا تكذب.
وذات صباح، كان الهواء ثقيلاً، والسماء ملبّدة بالغيوم.
الشارع فارغ إلا من طفل صغير يركض حافي القدمين، يحمل ورقة مهترئة.
اقترب من بابها، طرق بخجل، ناولها الورقة ثم هرب.
ارتجفت يداها، فتحتها بعناية، وقرأت السطر الوحيد المكتوب:
"أنا حيّ... ولكنني غريب عني."

تجمدت، جلست على الأرض، الورقة بين يديها، قلبها يعتصره السؤال:
كيف يكون حيًّا وغريبًا عن نفسه؟ هل فقد ذاكرته؟ هل صار شخصًا آخر؟
هل الحرب ابتلعته، تاركة جسده يتحرك بلا ملامح، بلا قلب، بلا روح؟

رفعت رأسها نحو النافذة، كانت لا تزال هناك، الفراغ ذاته، لكنه هذه المرة بدا مختلفًا.
كأنه يبتسم بخبث، يخبئ شيئًا لن يكشفه الزمن بسهولة.
شعرت بقسوة النافذة، لم تعد مجرد صديقة صامتة، بل صارت جلادًا، تكشف ضعفها، تقول لها: "أنتِ رهينة هذا الغياب."

لكنها، برغم الألم، لم تفقد إيمانها.
قالت في سرها: إذا كان حيًّا، فسيعود... حتى لو عاد غريبًا، سأعرفه... سأعيد إليه نفسه.
استمرّت في الوقوف عند النافذة، يومًا بعد يوم، تفتش في الفراغ عن ظلٍ يلوح، عن صدى خطوة ضائعة، عن وعدٍ لم يمت.
في تلك الأيام، كان لها روتين صارم:
الصباح: قهوة وساعة أمام النافذة، تتذكر كل تفاصيل ما قبل رحيله.
الظهيرة: تحريك الستائر نصف فتحة، تسمح للشمس أو المطر بالدخول، كأنها تتفاوض مع القدر.
المساء: كتابة رسائل له، لم ترسلها أبدًا، تمسح دموعها بين الحروف.
الليل: جلوس في الظلام، تستمع للأصوات، تراقب كل حركة، كل همسة.
كل شيء حولها أصبح رمزًا للغياب:
النافذة: حارس انتظارها الأبدي.
الحديقة الصغيرة خارج البيت: خالية من الأصدقاء، لكنها تحمل صدى ضحكاته.
الساعة الرملية على الطاولة: كل حبة رمل تمثل دقيقة من صبرها المرهق.
وذات ليلة، بينما كانت تتأمل الفراغ، تذكرت وعده الأخير: "سأعود قبل أن تتغير الأشجار."
نظرت نحو الأشجار اليابسة، ابتسمت بمرارة: لم تتغير الأشجار، لكنه اختفى.
لكنها لم تفقد الأمل، كانت تعرف أن الانتظار موت بطيء، لكنها فضّلت هذا الموت على أن تغلق النافذة نهائيًا.

****

مدينة بلا أسماء

في أحد أحياء المدينة القديمة، حيث الأزقة متداخلة والبيوت متلاصقة، كانت تعيش ليلى، شابة في أواخر العشرينيات، اشتهرت بصمتها العميق، وعينيها التي تبدو كمرآة لكل من حولها.

لم يكن الحي مجرد مكان للسكن، بل كان حيًّا حيًّا بذكرياته وأصواته، يحمل كل الضحكات، الصراخ، والدموع التي مرت عليه منذ عقود.

ليلى لم تعرف والدها، ووالدتها كانت تعمل في الأسواق منذ فجرها حتى الليل، تاركة ليلى لتواجه الحياة بمفردها.

لكن المدينة علمتها شيئًا واحدًا: أن الحياة لا تنتظر أحدًا، وأن البقاء يحتاج إلى قوة، حتى لو كان القلب هشا.

كانت ليلى تعمل في مكتبة صغيرة، حيث الكتب القديمة التي تعكس وجوه الناس، قصصهم، وآمالهم.

كانت تحب الجلوس خلف المنضدة، تستمع لهمس الزبائن، للقصص المنسية، للحكايات التي تتكرر منذ سنوات، لكنها تحمل دائمًا تفاصيل جديدة.

وذات يوم، دخل شاب غريب إلى المكتبة.

كان يحمل دفترًا ممزق الصفحات، وعيونه تتسم بالحيرة والخوف، كأنه فقد جزءًا من ذاته.

اقترب منه بحذر، وسأله: هل يمكنني الجلوس هنا؟

ابتسمت ليلى بصمت، شعرت بشيء مألوف في هذا الغريب، كأن روحه كانت تتحدث بلغتها الخاصة.

بدأ الشاب، واسمه مازن، يحكي عن حياته: فقدان أسرته، الانتقال المستمر بين المدن، شعور دائم بأنه بلا اسم، بلا هوية حقيقية.

ليلى استمعت، وأحيانًا كانت تتحدث، تعكس له جزءًا من صمتها، جزءًا من خبرتها في مواجهة الحياة بمفردها.
مع مرور الأيام، أصبحا يلتقيان يوميًا، يجلسان لساعات في المكتبة، يقرآن الكتب القديمة، يتحدثان عن المدينة، عن الأزقة، عن كل ما يختبئ خلف وجوه الناس، خلف الصمت، خلف الحكايات.

المدينة نفسها كانت جزءًا من قصتهما، كل زاوية فيها تحمل ذكريات غريبة، وجدرانها القديمة تعكس وجوه من عاشوا فيها، ضحكات من رحلوا، دموع من اختفت.
ليلى بدأت تشعر أن المدينة، رغم صخبها وضيقها، تمنحها فرصة للارتباط بالآخرين، للبحث عن هويتها، لفهم صمتها.

وذات يوم، قررا اكتشاف حيّ آخر، بعيد عن الأزقة القديمة.
بينما كانا يمشيان، سمعا أصوات أطفال يضحكون، طيور تحلق، بائعين ينادون على بضائعهم.
لكن ما أثار فضولهما كان بيتًا مهجورًا، كبير الحجم، واجهته مغلقة، نوافذه محطمة، وكأن الزمن توقف عنده.
دخلوا بحذر، ليجدوا داخله رسومات على الجدران، صور قديمة لأشخاص لم يعرفوا من هم.
ليلى شعرت بأن البيت يحمل جزءًا من المدينة، من تاريخها، من صمتها.
مازن لمس أحد الجدران، وقال: كل شيء هنا بلا أسماء... بلا وجوه، بلا قصص مكتملة... يشبهني... يشبهنا.
ابتسمت ليلى بصمت، فهمت ما يعنيه: أن الإنسان أحيانًا يشعر بالضياع، بلا هوية، لكنه يستطيع أن يخلق لنفسه قصة، أن يسرد حياته، أن يمنح نفسه الاسم والوجود.

مع مرور الأيام، تطورت علاقة ليلى ومازن، لكنها لم تكن خالية من الصراعات.

أحيانًا كان مازن يغلق نفسه في صمت طويل، يتذكر الماضي المؤلم، ويهرب من الواقع.
ليلى تعلمت الصبر، وكيف تكون إلى جانبه، دون أن تمحو هويتها أو صمتها.
بدأت تدرك أن الحب الحقيقي ليس بالاحتواء الكامل، بل بمشاركة الألم، بالاستماع، وبناء عالم مشترك من الصمت والكلمات.
وكانت لها طقوس يومية:

الصباح: الجلوس في المكتبة، ترتيب الكتب، مراقبة المدينة من نافذة صغيرة، ملاحظة التفاصيل الصغيرة.
الظهيرة: تجوال في الأزقة القديمة، ملاحظة وجوه الناس، سماع قصصهم، التفاعل معهم بحذر.
المساء: الجلوس مع مازن على سطح البيت، مشاهدة غروب الشمس، تبادل الأفكار، والرؤى عن الحياة.

الليل: كتابة اليوميات، رسائل غير مرسلة، قصص صغيرة، تلتقط فيها حكايات المدينة والأزقة، وتدمجها مع أحلامها الشخصية.

وذات ليلة، بينما كانت المدينة صامتة، سمعا صراخًا غريبًا من أحد الأزقة.
ركضا ليكتشفا مجموعة من الأطفال عالقين بين جدران متهالكة، لم يعرفوا كيف يخرجون.
بجهد كبير، ساعداهم على الخروج، شعرا بالإرهاق، لكن في الوقت نفسه بالفرح.
ليلى شعرت أن المدينة ليست فقط مكانًا للعيش، بل ساحة للاختبار، للتعلم، ولإظهار الشجاعة الإنسانية.

القصة رمزية بشكل كبير: المدينة بلا أسماء تمثل فقدان الهوية، الضياع، الصمت الطويل، لكنها أيضًا رمز لإمكانية الإبداع، التغيير، والحياة الجديدة التي يمكن بناؤها.

ليلى ومازن أصبحا جزءًا من هذه الحياة، اكتشفا أنهما قادران على مواجهة الألم، على خلق قصة مشتركة، على أن يكون لهما اسم في مدينة كانت بلا أسماء.

النهاية جاءت هادئة، لكنها قوية:

جلسا على سطح المنزل، يراقبان الأزقة، الأطفال، السماء، والنجوم.

شعرا بأن المدينة لم تعد بلا أسماء، وأنهما أصبحا جزءًا من حياتها، من تاريخها، ومن قصصها.

ليلى كتبت في دفترها:

"المدينة تعلمنا أن نخلق أسمائنا بأنفسنا... أن نختار من نحب، وأن نصنع حياة رغم كل الضياع..."

****

صوت القمر

في أحد أحياء المدينة القديمة، حيث تصطف البيوت متلاصقة والطرق ضيقة، عاشت سلمى، شابة في أوائل العشرينيات، تحب الليل أكثر من النهار.
كانت تشعر بأن القمر صديقها، صامت لكنه حاضر دومًا، يراقب كل شيء بعين هادئة، كأنه يعرف الأسرار المخفية في قلبها.

كانت سلمى تعيش مع والدتها في بيت صغير متهالك، يعلوه سقف متصدّع يمرّ منه ضوء القمر أحيانًا إلى غرفة النوم.
والدتها، امرأة صبورة، اعتادت الصمت الطويل، كانت تعمل خياطة لتوفير لقمة العيش، وتترك سلمى تتصرف بحرية ضمن حدود الحي الضيقة.

منذ الصغر، كانت سلمى مختلفة عن أقرانها، ليس بجمالها أو ذكائها فقط، بل بقدرتها على سماع الأشياء التي لا يسمعها الآخرون.
كانت تسمع همسات الريح، نداء الأشجار، وحتى صمت الجدران القديمة.
الناس في الحي اعتادوا على سلوكها الغريب، بعضهم قال عنها: غريبة الأطوار... تحب الوحدة أكثر من أي شيء آخر.

كانت سلمى تحب الجلوس على سطح البيت ليلاً، تنظر إلى السماء، وتغني لنفسها أحيانًا، كأنها تحاول التحدث مع القمر.
في داخله، كان لديها شعور غريب بأن العالم كله لا يفهمها، وأن صمتها هو وسيلتها الوحيدة للحفاظ على روحها من الضياع.

وذات ليلة، بينما كانت تستمع لصوت الريح بين الأشجار، سمعت همسًا خافتًا خلف البيت.
اقتربت بحذر، لتجد فتى صغيرًا يجلس على الأرض، عابس الوجه، يحمل كتابًا قديمًا ممزق الصفحات.

نظر إليها بعينين واسعتين، وقال: أنتِ... هل تسمعين الأصوات؟
ابتسمت ببطء، شعرت بأنها لم تعد وحدها.
الفتيان كانوا نادرين في حيّها، وغالبًا ما كان الأطفال يركضون خلف ألعابهم دون أي شعور بالعمق أو الرقة.
لكن هذا الصبي كان مختلفًا، يحمل معه شيئًا غريبًا، شيئًا يربط بين الخيال والحقيقة، بين الصوت والصمت، بين الحياة والموت.
بدأت سلمى والفتي بجلسات ليلية، يقرآن الكتب القديمة، يتبادلان القصص، يحكي كل منهما للآخر عن مخاوفه، عن أحلامه، عن الأشباح التي يسكنها الليل في قلبه.
الحي بدأ يلاحظ تغيّرها، لكنها لم تهتم.
شعرت أخيرًا بأن هناك من يفهمها، وأن صوتها لم يعد مجرد صدى في الفراغ.

لكن الحياة لم تكن رحيمة.
أثناء إحدى الليالي، سمعا صراخًا من الشارع، كان وقع أقدام مسرعة، أصوات غاضبة، صراخ جارٍ من الخطر.
ركضا معًا ليتحققا من الأمر، ليكتشفا طفلًا آخر، صغير السن، عالقًا على سطح منزله، لا يعرف كيف ينزل.
لم يترددا، تسلّقا الجدار القديم، وحملا الطفل إلى الأرض بأمان.
كان حدثًا مؤلمًا، لكنه علّمهما شيئًا مهمًا: أن الشجاعة ليست غياب الخوف، بل القدرة على مواجهته، والوفاء بالآخرين.

مع مرور الأيام، بدأ المجتمع المحيط بهما يلاحظ تغيرًا في سلمى، التي كانت معزولة دائمًا، لكنها بدأت تتفاعل مع الناس بشكل محدود، تختبر الصداقة والرحمة، وتكتشف كيف يمكن أن يكون العالم مكانًا للدفء، رغم كل القسوة والظروف الصعبة.
كانت لديها طقوس يومية:

المساء: الجلوس على السطح مع الفتى، يراقبان النجوم والقمر، يتبادلان الحكايات والأسرار.

الليل العميق: كتابة أفكارها على دفاتر قديمة، تلصقها بين الكتب الممزقة، كأنها رسائل إلى نفسها أو إلى المستقبل.

الصباح: التوجه إلى السوق لمساعدة والدتها، مراقبة الحياة من حولها، ملاحظة التفاصيل الصغيرة، حتى أصغر حركة في الشارع.

كان الصوت الداخلي لسلمى متزايدًا، صوت القمر، الريح، الماء في الحي القديم، كلها أصبحت بالنسبة لها أدوات لفهم نفسها، وللتواصل مع العالم بطريقة مختلفة.

وذات يوم، بينما كانت تسير مع الفتى في السوق، لاحظت طفلة صغيرة تبكي، فقدت أمها.

تقدمت سلمى إليها، أخذتها بحنان، وأعادت لها الدفء، شعرت بقوة داخلية لم تعرفها من قبل.

الفتاة الصغيرة أمسكت يدها، وقالت: أنتِ ملاكي .....

ابتسمت سلمى، شعرت بأن العالم، رغم كل الألم، لا يزال يحمل لحظات صغيرة من النور، يمكن لأي شخص أن يجدها إذا استمع بعين القلب.

في البيت، كتبت في دفترها:

"ربما لا أحد يسمع أصواتنا، لكن المهم أننا نعرفها، نسمعها، ونعيشها. الحياة ليست مجرد مرور الأيام، بل كيف نستمع لكل ما يحيط بنا، وكيف نخلق الصداقات، والرحمة، والشجاعة."

القمر، في تلك الليلة، بدا أكبر من المعتاد، يسطع فوق الحي القديم، يعكس ضوءه على الأسطح المتهالكة، على النهر الصغير خلف البيت، وعلى قلوب سلمى والفتي الصغير.

شعرت سلمى أن صوت القمر صار صدىً لروحها، رمزًا لكل شيء تعلمته: الشجاعة، الانتماء، الحب، الصبر، والأمل.

النهاية لم تكن مجرد غياب الظلام، بل اكتشاف الضوء الداخلي، القدرة على مواجهة العالم، والشجاعة على العيش كما يريد القلب، رغم كل شيء

ظل الطفولة الضائع

في حيٍّ قديم آخر من المدينة، حيث الأزقة متشابكة والبيوت متلاصقة، كان يعيش كريم، شاب في أوائل الثلاثينيات، لكنه يحمل طفلاً بداخله، ظلّ الطفولة الضائع الذي لم يشفى من جراح الماضي.

كريم لم يعرف حنان الأسرة بشكل كامل؛ فقد توفي والده وهو في السابعة، ووالدته كانت تعمل لساعات طويلة، تتركه مع جدته العجوز التي لم تفهم إلا الصرامة، والحذر، والخوف من العالم الخارجي.

كان المنزل يئن تحت وطأة الصمت، كل زاوية فيه تحكي قصص غياب الحب، والضغط المستمر على كريم ليكبر بسرعة، ليصبح شخصًا مسؤولًا عن نفسه قبل أوانه.

الحي الذي نشأ فيه كان مليئًا بالصخب، الفقر، ووجوه الناس المتعبة التي لم تعرف سوى القسوة والمنافسة على البقاء.

كطفل، كان كريم يهرب إلى زاوية صغيرة في السطح، يراقب السماء، يحلم بأن يكون طائرًا، حرًّا بعيدًا عن قيود الحياة، بعيدًا عن صرخات الجيران وأوامر جدته.

هناك، بين أنقاض المنزل القديم، بدأ يتكوّن عالمه الداخلي، عالمه الخاص، حيث يختلط الخيال بالواقع، والصوت بالظلال، والألم بالحب المخفي.

مع مرور السنوات، أصبح كريم شابًا هادئًا، قليل الكلام، لكنه عميق التفكير.

كان يفضل الجلوس في المقاهي القديمة، يراقب الناس، يسمع حكاياتهم من بين الهمسات، ويتأمل الطرقات الضيقة التي تشبه ممرات عقله الداخلية.

كل شخص يمر أمامه يترك أثرًا في ذهنه، كل ضحكة أو بكاء أو صمت يصبح جزءًا من ذاكرته، جزءًا من شعوره بأنه لم يكبر حقًا، لأنه لم يعرف الحب والدفء الحقيقي.

وذات يوم، أثناء عودته من عمله الجزئي في مكتبة الحي، سمع صوت بكاء خافت من زقاق ضيق.

اقترب، ليجد طفلة صغيرة، لا تتجاوز الثامنة، تجلس على الأرض، عارية القدمين، ترتجف من البرد.

اقترب منها بحذر، حملها بين ذراعيه، وأخذها إلى منزله.

كانت الطفلة، التي سمت نفسها ليلى، فقدت أسرتها في حادث مأساوي، ولم تجد أحدًا يعتني بها.

كريم شعر بشيء غريب يتفجر داخله، إحساس لم يشعر به منذ طفولته: الرغبة في الحماية، في الإصلاح، في نقل الحب الذي لم يحصل عليه.

بدأ يعتني بليلى، يطعمها، يعلّمها، يقرأ لها القصص، يحكي لها عن السماء، عن النجوم، عن الطيور التي يحلم بها.

الحي لاحظ التغير في كريم.

لم يعد الشاب الصامت الذي يمر بلا أثر، بل أصبح رجلاً يتحمل مسؤولية طفل آخر، يبتسم، يتحدث، ويشارك الحياة، رغم كل آلام الماضي التي لازمت قلبه.

لكن الحياة لم تتركه بسلام.

ذات يوم، بينما كان كريم وليلى يتجولان في السوق، اصطدم بشخص من ماضيه، رجل أعمال كان يعرفه من أيام الطفولة، وبدأ يتحدث معه عن إخفاقاته، وعن ضعف شخصيته.

شعور كريم بالغضب، والخوف، والعار اجتمع في آن واحد.

عاد إلى البيت، جلس على السطح الذي كان مسكنه كطفل، ينظر إلى السماء، ويسأل نفسه: هل أنا الآن كبير بما يكفي لأحب وأحمي؟ أم أن الطفل بداخلي سيظل دائمًا مظلمًا؟

الليل جاء، وحمل معه ذكريات الطفولة، صور والده، صراخ جدته، صمت والدته، الحي، الأزقة، كل شيء.

كتب في دفتره:

"ربما لم يكبر قلبي بعد، لكنني سأحاول. سأحمي ليلى، سأحبها، سأكون لها كل ما فقدته طفولتي. سأكبر بروحي."

مع مرور الأيام، بدأت علاقة كريم بليلى تزداد قوة، لكن أيضًا بدأت تواجه صعوبات: جيران يتهامسون، مدرسات ليلى يلاحظن تأخرها في بعض المهارات، وضغوط الحياة اليومية التي لا ترحم.

كريم تعلم أن الحب لا يكفي وحده، وأن المسؤولية تتطلب قوة داخلية، صبر، وتوازن بين الماضي والحاضر.

وفي لحظة مفصلية، تعرض كريم لحادث صغير أثناء إنقاذ ليلى من سقوط محتمل.

جلس في المستشفى، يحدق في السقف، يشعر بالألم الجسدي، لكنه أدرك شيئًا أكبر: أن القدرة على العطاء، على حماية من نحب، على مواجهة الألم، هي ما يجعلنا كبارًا، حتى لو ظل جزء من طفولتنا مختبئًا في أعماقنا.

بعد تعافيه، قرر كريم إعادة ترتيب حياته:

أعاد ترتيب البيت، ليصبح مكانًا دافئًا لليلى.

بدأ العمل بجدية أكبر في المكتبة، مستخدمًا خبرته ومهاراته لمساعدة الأطفال والشباب في الحي.

كتب مذكراته اليومية، يصف كل مشاعره، مخاوفه، نجاحاته، وكل الدروس التي تعلمها.

الظل الذي كان يطارده منذ الطفولة بدأ يخف، شيئًا فشيئًا.

الطفولة الضائعة لم تختفِ بالكامل، لكنها تحولت إلى قوة، إلى دليل على القدرة على التعلم، على الحب، على الصبر، على إعادة بناء الذات والمجتمع المحيط.

في النهاية، جلس كريم على سطح البيت، ليلى بجانبه، ينظر إلى المدينة، إلى الأزقة القديمة، إلى الأطفال يلعبون في الشوارع، والنجوم والقمر يراقبانهم بهدوء.

ابتسم، لأنه أدرك أن الكبر الحقيقي ليس بالعمر، بل بالقدرة على مواجهة الماضي، حماية الحاضر، وخلق مستقبل يملؤه الحب والأمل.

✨ الخاتمة

ليست هذه الصفحات سوى محاولة لالتقاط ظلال الحياة بما تحمله من غياب وانتظار، طفولة وأحلام، مدن تفتح نوافذها على الضوء وأخرى تغلق أبوابها على الصمت.
لقد سعيت من خلال هذه القصص أن أجعل اللغة بيتًا للروح، وأن أكتب الإنسان في لحظاته الأكثر هشاشة وعمقًا، حيث يمتزج الواقع بالخيال، وتتماهى التجربة الفردية مع الوجع الجمعي.

إنها رحلة بين الذاكرة والخيال، بين ما حدث وما كان يمكن أن يحدث، بين فراغ النافذة وضحكة الطفل، بين مدينة تسكنها الأسئلة وقلوب تبحث عن الأمل.
رحلة لم تنتهِ هنا، بل تظل مفتوحة على احتمالات جديدة، تمامًا كما يظل الأدب وعدًا بالحرية، ومساحة يتسع فيها المعنى للحلم والدهشة

السيرة الذاتية الأدبية

الاسم: ياسمين عبد السلام هرموش

البلد: لبنان – طرابلس

الميلاد: 15 أغسطس 1988

المهنة: شاعرة وكاتبة

المسار الأدبي والإبداعي

بدأت علاقتي بالكتابة منذ سنوات مبكرة، حين وجدت في الكلمة فضاءً يتيح لي أن ألتقط ما يتعذر على الواقع أن يمنحه: الحلم، الحرية، والقدرة على البوح. مع مرور الوقت، تحولت هذه الممارسة إلى مشروع إبداعي يتسع بين الشعر والسرد، بين القصيدة العمودية والنص الحر، بين الحكاية الواقعية والخيال الرمزي.

كتبتُ في موضوعات متعددة تنوّعت بين قضايا المرأة والهوية والوطن، وانشغلت بتجربة الحب والاغتراب والحنين، لتكون نصوصي مرآةً للذات وللعالم في آن واحد. أعمالي الأدبية حملت طابعًا إنسانيًا تجاوز الحدود، ما جعلها تلقى صدى لدى قراء عرب وأجانب على السواء.

المؤلفات

ديوان "الياسمين"

ديوان "قطوف الياسمين"

نصوص شعرية وسردية منشورة في مجلات أدبية محلية وعالمية.

قيد الإنجاز: روايات وقصص قصيرة ومشاريع شعرية مترجمة.

الترجمة والانتشار

تُرجمت أعمالي الشعرية إلى لغات عديدة منها: الإنجليزية، الإيطالية، الكورية، والألبانية.

ظهرت نصوصي في مختارات شعرية ودراسات أدبية أكاديمية.

المشاركات والجوائز

شاركت في مهرجانات شعرية وأدبية عربية وعالمية.

حصلت على شهادات تقديرية وتكريمية من مؤسسات ثقافية دولية.

أدرجت نصوصي في مناهج تعليمية وجامعية، لتُدرّس كنماذج إبداعية معاصرة.

الاهتمامات والكتابة

أكتب الشعر العمودي، شعر التفعيلة، النثر الشعري، والسرد الأدبي.

أسعى إلى المزج بين جماليات اللغة وعمق الفكرة، وإلى إبراز القضايا الإنسانية من خلال رؤية فنية وجمالية

الفـــــــــــهرس

الموضوع	من	إلى
الإهداء	1	
المقدمة	2	
مدينة الشمس المشرقة	3	4
صمت الحديقة	5	7
رسالة من البحر	8	10
الساعة المكسورة	11	13
صوت الريح	14	16
ظل المدينة القديمة	17	19
بيت بلا أبواب	20	21
رسائل تحت المطر	22	24
الحديثة المغلقة	25	27
الشرفة المهجورة	28	30
مدينة الصمت	31	32
الظل الذي ابتلع المدينة	33	35
ظل فوق الماء	36	39
الظل الذي لم يكبر	40	43
نافذة تطل على الفراغ	44	46
مدينة بلا أسماء	47	50
صوت القمر	51	53
ظل الطفولة الضائع	54	56
الخاتمة	57	
السيرة الذاتية	58	59
الفهرس	60	